

مصطفى محمود



من أميريكيا إلى
النشأ طحى الآخر



دار المعارف

أمريكا.. أمريكا

الأربعاء - نيويورك ٢٩ أغسطس ١٩٨١

أمريكا.. أمريكا

الأمناء الأولى من الصحف والتلفزيون كلها من
الكشاف ثلاث فيمات من ذبابات العاكبة في حديقة خليفة في أحد
الغزل في كاليفورنيا

فلت أمريكا كلها رأس على عقب فور سماع الخبر
سلاح الطيران يتحرك للقيام بعملية دس واسعة للمناطق المحيطة
جيش من الجنود في الحشرات ينقل قوراً إلى مسرح الحادثة
معلم شهرة للشخص البيولوجي تحول إلى الموقع عمدة بأسطول
من الطيور
أسفرت وأخوية... ومناقشات... حول أعمال تلف جزء من

لغة عن اللطائف الثلاث التي وجدت ميتة

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.

في الامارات

لقد .. لقد

لقد نأيد به قلعة في قنصلية في تاملين ربيع
بعض قلة راجع ريتا في الهدا نأيد به قلعة ربيع . فينويها
عسلط

تلكا تابلينا راجع ريتا في قنصلية

كلية ريتا ريتا في قنصلية ريتا في قنصلية

الأربعاء - نيويورك ٢٦ أغسطس ١٩٨١ : ريتا في قنصلية

ريتا في قنصلية ريتا في قنصلية ريتا في قنصلية

الأعمدة الأولى في الصحف والتلفزيون تتحدث كلها عن
اكتشاف ثلاث ذبابات من ذبابات الفاكهة في حديقة خلفية في أحد
المنازل في كاليفورنيا . ريتا في قنصلية ريتا في قنصلية ريتا في قنصلية
انقلبت أمريكا كلها رأساً على عقب فور سماع الخبر . قد
سلاح الطيران يتحرك للقيام بعملية رش واسعة للمناطق المحيطة .
جيش من الخبراء في الحشرات ينتقل فوراً إلى مسرح الحادثة .
معامل مجهزة للفحص البيولوجي تصل إلى الموقع محمولة بأسطول
من الهليكوبتر .

أسئلة .. وأجوبة .. ومناقشات .. حول احتمال تلف جزء من
المحصول .

ماذا عن الذبابات الثلاث التي وجدت ميتة ؟

توتر . . انتظار . . لهفة . . فضول ؟ ماذا حدث ؟

برقية من مركز المراقبة الفضائي يعلن عن إصلاح العطب في كاميرات السفينة . . ويقول إن السفينة الآن تركت زحل بسلام وهي ترتحل في الفضاء بسرعة خمسين ألف كيلومتر / ساعة في طريقها إلى الكوكب العظيم أورانوس لتصل إليه بعد خمس سنوات . . ثم بعد ثلاث سنوات أخرى إلى نبتون . .

مؤتمرات علمية لدراسة الشفرات اللاسلكية التي أرسلتها أفوياجر من زحل . . عقول إلكترونية متخصصة تعيد تركيب الشفرة ونحوها إلى صور ملونة . . حلقات زحل المضيئة ليست عشرات بل مئات . . وهي عبارة عن حصوات ثلجية معلقة . . آلاف الملايين من هذه الحصوات المختلفة الأحجام والأشكال تدور في أحزمة متباعدة يمكن أن تتخللها السفينة الفضائية أثناء سيرها دون أن تصاب بسوء . . وليست كل هذه الحلقات مستديرة . . وإنما بعضها بيضاوي . . وبعضها يدور صاعداً هابطاً في مدار حلزوني . . وبعضها يلتف مع الحلقات المجاورة في صفائف . . وبعضها غير كامل وتتخلله الفجوات في مناطق . . الغاز . . وهناك خبر أعجب . . أحد أقمار زحل (هيبرون) يدور

بالمقلوب . . والتفسير مجهول . . بعض العلماء يقول إن هذا القمر تلقى ضربة على رأسه من قمر آخر منذ مائة مليون سنة قلبت وضعه في الفضاء . . ومنذ هذا الحين وهو يدور في هذا الوضع العجيب . . مناقشات حول سطح زحل . . وهل هو غازي أو سائل أو صلب . . وعن جو زحل وغازاته . . وعن درجة حرارة الكوكب وبجالة المغناطيسي . .

علماء الفضاء أمام الكاميرات التليفزيونية في مناقشات جادة يقطعها بين حين وآخر إعلان عن بنطلونات الجينز الجديدة . . المناقشات مستمرة . . وما زال زحل لغزاً . . والمعلومات الجديدة حولت السؤال إلى ألف سؤال جديد . .

وبفضل الطبيب وبوليصة التأمين وجوب منع الحمل والأدوات
الكهربائية التي تقوم بالكُنس والغسل والطهور - نجد الزوجة في حالة
صحة جيدة وفراغ قاتل ، تحلق في المسلسلات الجنسية في
التلفزيون ، والزوج تمتد حياته إلى أرذل العمر . . والعلاقة الزوجية
تتحول إلى شيء فاتر ممل لا يطاق . والزوجة تفتح على نفسها مشاكل
لا حل لها .

في حديث تليفزيوني حول المرأة ومشاكلها . . قالت المتحدثة في
صراحة عجيبة إن إحدى مشكلات المرأة حينما تتقدم في السن أنها
تزداد رغبة في الجنس . وتصل رغبته إلى الذروة بعد الستين . . ولكن
للأسف في مثل تلك السن لا تجد المرأة من يقبل عليها من الرجال .
فالزوج انتهى من زمان . . وأقرانها في السن من الرجال يفضلون بنات
الـ ١٦ . ويجيب الرجل معلقاً على ملاحظتها أن أمثال هذه المشاكل لم
تكن تثار في الماضي . لأن العلاقات الزوجية لم تكن تتخطى
الأربعين . . فالزوج كان في العادة يموت بالسكتة في البورصة . أو كان
يموت مقتولاً في حقول تكساس . أو كان يموت بالحمى أو الوباء أو
الخطر الرديئة . . وكان يترك في عنق زوجته جيشاً من الأطفال يشغلها
عن أي شيء آخر يمكن أن تفكر فيه . . ولكن الآن - لسوء الحظ

الجمعة - نيويورك - ٢٨ أغسطس :

في حديث تليفزيوني حول المرأة ومشاكلها . . قالت المتحدثة في
صراحة عجيبة إن إحدى مشكلات المرأة حينما تتقدم في السن أنها
تزداد رغبة في الجنس . وتصل رغبته إلى الذروة بعد الستين . . ولكن
للأسف في مثل تلك السن لا تجد المرأة من يقبل عليها من الرجال .
فالزوج انتهى من زمان . . وأقرانها في السن من الرجال يفضلون بنات
الـ ١٦ . ويجيب الرجل معلقاً على ملاحظتها أن أمثال هذه المشاكل لم
تكن تثار في الماضي . لأن العلاقات الزوجية لم تكن تتخطى
الأربعين . . فالزوج كان في العادة يموت بالسكتة في البورصة . أو كان
يموت مقتولاً في حقول تكساس . أو كان يموت بالحمى أو الوباء أو
الخطر الرديئة . . وكان يترك في عنق زوجته جيشاً من الأطفال يشغلها
عن أي شيء آخر يمكن أن تفكر فيه . . ولكن الآن - لسوء الحظ

ومن قبل ذلك بساعات كنت في السيرك أشاهد قرود الشمبانزى
المدربة . تركب البسكليتات وتجرى بقباقيب الانزلاق . . . وكنت أرى
السباع والتمور المفترسة تلحق خد مدربها في خضوع .
وعجبت أشد العجب للإنسان الذى ساد مملكة الحيوان كلها
وأخضعها لأمره وإشارته . كيف لم يستطع أن يخضع الحيوان
بداخله ؟ ؟

إنه لا شك يستطيع بدليل ما أرى أمامي . . .
ولكنه هذه المرة لا يريد . . . فقد اختار أن يترك حيوانه الخاص
على سجيته ليلعب معه لعبة اللذة . . .
اختار أن يتركه على حريره ليقاسمه هذه المصلحة العاجلة .
والإنسان المكبر يفعل ذلك بنخب ويدعى أنه ضعيف وأن حيوانيته
غلبته .
ولكنه يكذب ليبرر لنفسه ما يختلس من لذات .

وما أجراه على الكذب ذلك الذى مشى على القمر وارتحل إلى
النجوم . وأخضع وحوش الغاب حينما يدعى أنه لا يستطيع أن يحكم
الوحش بداخله . . .
وأنه لا يستطيع أن يحكم
الوحش بداخله . . .

ومن قبل ذلك بساعات كنت في السيرك أشاهد قرود الشمبانزى
المدربة . تركب البسكليتات وتجرى بقباقيب الانزلاق . . . وكنت أرى
السباع والتمور المفترسة تلحق خد مدربها في خضوع .
وعجبت أشد العجب للإنسان الذى ساد مملكة الحيوان كلها
وأخضعها لأمره وإشارته . كيف لم يستطع أن يخضع الحيوان
بداخله ؟ ؟

أورلاندو - الأحد - ٣٠ أغسطس :

سهول فلوريدا الخضراء ذات الجو الدافئ والأمسيات الرطبة . .
الخضرة على مدى البصر . . . والسماء زرقاء صافية . . . والنسيم كغلالة
من حرير . . . الطريق ليحيط به . . .
حضن الطبيعة رائع . . .
تمنيت أن أنام في هذا الحضن وأنسى كل شيء . . .
هنا أجمل متحف حي لعالم البحار . . . مبنى كامل منفرد لسمك
القرش . . . ومبنى آخر للحيتان . . . ومبنى ثالث لسباع البحر وكلاب
البحر وأفيال البحر . . . مع تجهيزات كاملة للعروض السينمائية المجسمة .
شاهدت مسرحية ضاحكة لزواج أحد سباع البحر . . .
المسرح شاطئ بحيرة صناعية والمدرّب يحرك سباع البحر بمهارة
مذهلة .

والمحصول والناس أسودهم وأبيضهم ، وتشتمل على كل الأديان والعقائد والملل والنحل والفقر والغنى . وبرغم كل هذه الأختلاط المختلفة تقوم أمة مؤتلفة تفاهم مع بعضها البعض بدون حرب . فإذا كان لنا أن نحكم على الجريمة وانتشارها في مجموع هذه الولايات الأمريكية فعلينا أن نقيسها بما يجرى من قتل في مجموع البلاد العربية من باب قياس الشيء بمثله . ولا شك أنها في مجموعها أكثر أمناً من مجموعتنا العربية . فما يجرى من قتل هناك أقل بكثير مما يجرى من قتل هنا بين بلاد عربية بينها أخوة الدين واللغة (سورية والعراق وإيران أمثلة قريبة) . ولا شك أن هذه الولايات الأمريكية المختلفة في الألوان والأديان واللغات واللهجات والعادات استطاعت أن تفاهم فيما بينها بأكثر مما استطعنا نحن أن نفاهم نحن أبناء اللغة الواحدة والدين الواحد . ولا شك أن المسألة في النهاية مسألة تقدم ولا أقصد بالتقدم حظنا من العلم والتكنولوجيا وحظهم . وإنما أقصد ما هو أعمق . أقصد القدرة على التفاهم وتحكيم العقل في حسم الخلاف والقدرة على النظرة الموضوعية الهادئة دون انفعال والقدرة على الاستبصار والنظر في العواقب وتغليب العقل على العاطفة والتخطيط على الارتجال والتفكير على الهتاف . وتلك هي صفات

شيكاجو . . الخميس ٣ سبتمبر ١٩٨١

شارع ميتشجان . . أشعر أنني كعود كبريت إلى جوار هذه النباتات العملاقة من الصلب والزجاج . . ليس فقط في عدد الأدوار التي طاولت السماء . . ولكن في حجم الغرف . . تكاد الغرفة تكون بحجم طابق . . كل شيء ضخم . أصغر شيء هم الناس الذين يهرولون كالثمل ، في يد كل واحد حقيبة وفي جيبه مسدس . وبرغم كثرة الجرائم وحوادث القتل والسرقة والخطف . . فإن النظرة سوف تختلف إذا أدخلنا في الاعتبار أننا في رقعة جغرافية تحتوى على خمسين ولاية كل ولاية تعادل في مساحتها بلدًا عربيًا ، ثم تكاد في مجموعها تشتمل على أقصى درجات الاختلاف في المناخ والجو

المجموعة المتحضرة . . . وحظنا من ذلك قليل وحظهم كبير . . .
وأؤكد أقول إن أصدق تعريف للحضارة هو القدرة على التفاهم
بين المختلفين . . . والقدرة على تجاوز التناقضات في المواقف والآراء
والأمزجة وتغليب الإنسانية والحكمة . . . وإنما تأتي حكاية التقدم العلمي
والتكنولوجي كنتيجة لهذه الصفة صفة تغليب الحكمة والفكر . . .
ولقد تقدموا في العلم والتكنولوجيا بسبب هذه الصفة وليس
العكس . . . ولكنني شديد التفاؤل . . . وأقول لنفسي . . . لقد اكتسبت
أمريكا هذه الصفة بعد حروب تاريخية طويلة حارب فيها بعضهم بعضاً
مثلنا . . . وعبروا إلى شاطئ الأمان بعد أن خاضوا أنهار الدم . . .
ولعلنا نمر الآن مثلهم بهذه المرحلة التي مروا بها ونحوص مثلهم أنهار
الدم . . . إن التاريخ يعيد نفسه دائماً ولا شيء يكتسب بدون ثمن . . . إنني
متفائل . . .
وقد نستطيع أن نختصر التاريخ ونوفر الدم إذا استبصرنا العواقب
واستفدنا من العبرة . . . وواجهنا أنفسنا بالأمانة اللازمة . . . ولم نتملق
أنفسنا بالشعارات والملصقات القديمة المستهلكة أمثال بلاد الخواجات
بلاد الكفر . . . الحضارة الأوربية أفلست . . . ليس عندهم سوى
الانحلال والمخدرات . . .

بمثل هذا الكلام نخدر أنفسنا وننسى أنهم مشوا على القمر وفجروا
الذرة . . . وزرعوا الأجنة في الأنابيب وعبروا الفضاء . . . وما كانت هذه
الناطحات التي تنطح السحاب إلا رمزاً لهذه الروح الإيجابية التي تعشق
اقتحام المخاطر . . .
إن هذه الروح التي حاولت أن تناطح السماء هي نفسها التي عبرت
الفضاء . . . وهي نفسها التي حاولت أن تثقب الأرض لتثقب عن
البترويل . . . وهي نفسها التي حفرت المنجم . . . وهي نفسها التي غاصت في
البحر وغزت البر وفجرت الذرة وانطلقت إلى المريخ . . .
هذه الروح الناشطة المغامرة الناهضة بهمة للعلم والعمل
والاكتشاف والتجديد هي الوجه الجدير بالإعجاب من الشخصية
الأمريكية . . .
وإذا ذكر العنف فأمريكا ليست أول من يتصدر العالم في العنف
وإنما إيطاليا أولى بالذكر . . . وهي عاصمة المافيا والعنف بحق . . .
وأقول إيطاليا لأن إيطاليا بلد صغير ليس فيه خمسون ولاية . . .
وليس فيه سود وبيض . . . وليس فيه تعدد أديان ولا تعدد أجناس يفسر
أنهار الدم التي تسيل في الشوارع كل يوم . . . ويفسر القنابل التي تنفجر
في الكبير والصغير . . . ولا تفسير للعنف هناك سوى العنف نفسه . . .
العنف النفسي الذي يتصاعد في النفوس على شكل جماعات وتنظمات

وأحزاب وألوية حمراء وسوداء وبميين ويسار . . . وهو عنف بلا عائد . . . عنف لا يقابله أى صورة من صور الصحة الاجتماعية . . . وبالمثل ما يجرى فى لبنان . . . وما يجرى فى أمريكا اللاتينية . . . وما يجرى فى الدويلات الإفريقية الحديثة الاستقلال . . . وإذا لاحظنا أن فى أمريكا أكبر تجمعات إسلامية . . . وإذا لاحظنا أن الدعوة الإسلامية ناشطة وفاعلة من خلال الندوات والمطبوعات والكتب . . . وإذا ذكرنا أن الإنتاج الناشط فى الزراعة يعطى فائضاً من القمح يطعم أمريكا وروسيا معاً والإنتاج الصناعى المتطور يغطى العالم كله . . . فإن الصورة الشائعة بأن أمريكا هى الجريمة والكفر والمخدرات . . . هى أبعد ما تكون عن الحقيقة . . . فأمريكا أيضاً هى العلم والعمل والفن والاختراع . . . وأمريكا هى المناخ الحر الذى يرتفع فيه الخير والشر معاً ، بل ينمو فيه أى شىء قابل للنمو . . . فإذا بحثت عن المجرمين تجدهم وإذا بحثت عن أهل الخير والصلاح والدين تجدهم . . . بل تجد أكثر من ذلك . . . تجد جماعات من المتعصبين ومن دعاة التطهر الدينى ومن الغلاة المتطرفين من المسيحيين والمسلمين . . . كما تجد الوجوديين والانحلاليين والرافضين . . . كما تجد غرائب الملل والنحل من أمثال

دعاة التانترابوجا وأتباع الصمدي (يوجا هندي جديد يدعو إلى الاستمتاع) . . . كما تجد رهبان العلم العاكفين على دراساتهم ومعاملهم . . . كما تجد أهل المذات العاكفين على لذاتهم . . . لكن الجوانب الإيجابية مازالت غالبية على الجوانب السلبية فى الصورة العامة . . . والأمريكى العادى إنسان ودود عائلى متفتح بسيط يحب للخير . . . وهو يفكر بطريقة دينية برغم الحياة المغرقة فى المادية التى يعيشها . . . ولكنه يقدس حرمة الشخصية ويضعها فوق كل اعتبار . . . ولا ينافس النشاط الأمريكى إلا النشاط اليابانى . . . إنك ترى النشاط اليابانى فى شوارع نيويورك . . . ترى طوابير السيارات اليابانية الفارهة تزحم المرور ويتسابق إلى شرائها الأمريكيون وترى اللغة اليابانية على المحلات والمكاتب . . . وترى السواح اليابان . . . وترى الوفود والخبراء . . . والعلم والإنتاج اليابانى فى الإلكترونيات والساعات والكاميرات يزاحم الإنتاج الأمريكى فى الفترينات ويقدم الأحسن والأرخص . . . وقد بدأت اليابان هذه النهضة من الصفر . . . من دمار كامل . . . وهذا يعطينا مثلاً على أن التقدم التكنولوجى ليس لغزاً . . . وأن التخلف ليس قدرًا علينا . . . وأن العمل والنشاط يستطيع أن يعبر بنا الفجوة فى لآزمان . . .

وإذا خاطبت الواحد منهم يقول لك إنه يشعر أنه لو بارح المكان
سيفقد روحه . . . وهي كلمات بسيطة ولكنها تعني الكثير .

وإذا أمكن أن يكون للمكان روح ففي هذا الخور بالفعل . حيث
تشعر ببصمات ألفي مليون عام في لقطة واحدة فيما يشبه الصدمة التي
يقف لها شعر الرأس . . . وكأنما تحول الزمن إلى عمل رائع من أعمال
النحت المذهل .

وتصفع وجهك الريح الباردة الثلجية فتفنيك لتعود إلى حيث يقف
السائق ليأخذك إلى القرن العشرين . ثم إلى المستقبل الذي لا يعلم أحد
كيف يكون .

الاثنين ٧ سبتمبر سنة ١٩٨١ جراند كانيون:

جراند كانيون أو « الخور العظيم » هو فلق أرضي أو انشقاق بعمق
سبعة آلاف قدم ، وعرض عشرة أميال ، وبطول عدة كيلومترات .
حفرت مياه نهر الكلورادو وفعل الزلازل وتفجرات البراكين منذ أكثر
من ألفي مليون سنة . . . وهو مسرح بكر لفعل الطبيعة وعوامل التحات
والتعرية والتآكل ، تحتفظ به أمريكا على بكارته ليكون متحفاً
جيولوجياً يقصده السواح من كل أنحاء الأرض . . . وعدسات
الكاميرا لا تستطيع أن تحيط به في صورة واحدة ولا في عدة صور ،
وكذلك العين البشرية إذا نظرت من زاوية واحدة . . . ولا بد أن تصعد
في طائرة لترى من الجو هذا الأثر العجيب لتشعر بضخامته .
وفي عمق الخور تعيش بعض قبائل الهنود الحمر في أكواخ ولا تبرح
مكائنها برغم قسوة ظروف الحياة وتعاقب الحر والبرد والزمهرير .

لا . . . إنه ليس مجرد المكسب . فإنه يستطيع أن يكسب بالعمل
أكثر . . . وسوف يستمر يقامر حتى لو استمر يخسر .

إن اللذة ليست النقود .

ولكن اللذة هي مباشرة الحظ والمكسب والمغيب .

اللذة هي مصاولة القدر .

والوجه المحجوب من الكارت هو القدر .

واللذة هي تلك الرغبة التي تهز كيان المقامر لحظة أن يمد يده

ليكشف الكارت . . . فهو ليس مجرد كارت . . . ولكنه القدر بعينه .

وهو في حالة مباشرة مستمرة للقدر .

وهو يتصور أنه يستطيع أن يملك قدره .

وهذا الوهم هو اللذة القاهرة التي تستبد بالمقامر حتى تقضى عليه .

وهي لذة أشد قهراً واستبداداً من لذة الجنس والمخدر .

وهي تنمو بالمزاولة حتى تصبح عادة لا فكاك منها إلا بالموت أو

الانتحار . والنصيحة الوحيدة أن تغلق الباب الذي يدخل منه الريح .

لا تضع قدمك في لاس فيجاس إذا أردت السلامة . فالمسألة

تبدأ عادة بربع دولار .

الثلاثاء ٨ سبتمبر سنة ١٩٨١ لاس فيجاس :

عاصمة القمار الثانية في العالم . . . ديانتها الدولار . وألهتها الخمر
والنساء وبول انكا والديسكو .

منذ أن تضع قدمك في المطار تسمع جلبة النقود في ماكينات
الحظ الإلكترونية . . . العب واكسب . . .

وفي الكازينات الضخمة حول موائد الروليت والباكاراه تجري
عدة ملايين كل ساعة زمان بين الأيدي المرتعشة . وتتعدد حلقات
الدخان وتلمع الماسات والسوليترات في الأصابع وعلى الصدور
العارية . وتبرق العيون في تلهف في انتظار اللحظة التي تقف فيها عجلة
الروليت .

وتسأل نفسك أي لذة يشعر بها ذلك الرجل الذي يلقي بكل
ما يملك على المائدة .

اليوم ونك إنك الأغاني كلها تتحدث عن الحب أفيشات الأفلام
كلها حب .

أدرت مؤشر الترانزستور الصغير فسمعت صوت الحب على جميع
المحطات . . . وسمعت في الإعلانات . . .
تمددت على الحشيش ونظرت في استرخاء إلى كل شيء .
سألت نفسي ماذا أريد . . . هل أطلب الحب أنا الآخر .
لقد وجدت الحب . كنت دائماً أجده . ولكني لم أجده الرحمة
والذي يحب لا يرحم .

الحب بما فيه من رغبة وشهوة وامتلاك لا يرحم .
ثم هو بعد كل ذلك لا يدوم . . . وتلك غاية القسوة .
وفي المدن الكبيرة المزدحمة التي تعج بالملايين يتبادل الناس الحب
والمصالح والمنافع . ولكن لا أحد يرحم أحداً .
في هذا العالم المادي الذي يتدافع بالاكثاف والمناكب في سبيل
اللحمة لا وقت للرحمة . . ليس هذا فقط حال نيويورك أو شيكاغو .
بل هو أيضاً الحال في القاهرة ولندن وباريس وروما وكل المدن
الكبرى . . . وكل الحضارة المادية التي نعيشها .
ولكن المشكلة تزداد حدة كلما ازداد التقدم المادي وكلما ازداد
عدد الأزرار والكمبيوتر والأتوميش والليزر والتحكم الإلكتروني .

لوس أنجلوس - الأربعاء ٩ سبتمبر ١٩٨١ :

كاليفورنيا المبهجة . . . الشاطئ الآخر من القارة على مياه الباسيفيك
عند أقصى الغرب حيث منتصف الليل هناك هو رابعة النهار هنا في
القاهرة .

على بعد كيلو مترات قليلة بلاج ميامي . وعلى مسافة دقائق عالم
الخيال في ديزني لاند . حيث قصص ألف ليلة . وسندريلا وحواديت
الجن والسحرة . تراها مصورة مجسدة في عالم من الدمى الإلكترونية
البديعة .

الحر شديد . . . والرطوبة عالية . . . وجوه من كل الجنسيات تملأ
الشوارع والحدائق . . . سود وبيض وحممر وصففر . . . عبق مختلط من كل
أنواع البارفان يداعب الحياشيم مع صوت أغاني الديسكو الذي
يتصاعد من عربات السندويتش .

بقدر ما تغزو الآلة بقدر ما يتراجع العامل الإنساني ويتضاءل الفرد ويتعاضم شأن المؤسسات والمكينات .

وهذا هو الوجه القاسي من الحياة المرفهة الحديثة . الحياة تتدافع وتهول . . ومعدلات التغير السريع تقفز كل يوم . كل يوم يأتي معه اختراعات جديدة وأخطار جديدة واحتمالات مفرقة وإيقاع الحوادث يتتابع ملتبهاً للدرجة لا تستطيع معها أن تتنبأ ماذا يكون الغد . . وكل هذا يشكل ضغطاً عصبياً على المواطن . والنتيجة توتر نفسي عام .

والتوتر هو سمّة الشارع والبيت في أمريكا وأوروبا والعالم المتمدين كله .

ولهذا يلجأ الأمريكي العادي إلى الكأس . . ويلجأ الشباب إلى المخدر والماريجوانا والكوكايين .

وفي إحصائية أخيرة بين جنود البحرية الأمريكيين يقول التقرير إن ٤٩,٥٪ أي حوالي نصف المخندين مدمنون خمور أو مخدرات أو الاثنين - وبين طلبة المدارس أكثر من عشرين في المائة يتعاطون الخمر أو المخدرات . والإحصائية مفرقة ويمكن أن تؤدي إلى مضاعفات هائلة في المستقبل . وإذا لم تلجأ الحكومة إلى سن قوانين صارمة ورادعة لوقف هذه

الموجة المدمرة من المخدرات . فالبنية الاجتماعية مهددة . والعصب الاجتماعي يتآكل شيئاً فشيئاً تحت هذا المظهر الراق الخلاب من التقدم .

وأحياناً لا بد أن نصادر الحرية لنحمي الحرية . ولكنهم هنا يفرعون من أي شيء بحس الحرية . ويقولون إن أمريكا هي الحرية . . وإن الحرية هي التي صنعت العلم والرخاء والتكنولوجيا والتقدم وهذا صحيح . .

ولكن حرية صانع الكوكايين والهروين سوف تهدم هذا كله . ولن يبقى لأحد حرية ، إنه الخير الذي يلد الشر . إن الحرية أنجبت نسلاً من الملائكة ، ولكنها أنجبت أيضاً نسلاً من الشياطين العظام . إنها قد أنجبت البنائين الذين بنوا أمريكا ولكنها اليوم تنجب الخربين الذين يعملون على هدم هذا البنيان من القواعد . .

وكما أنجبت الخير الشر . . كذلك نرى أحياناً أن الشر قد ينجب خيراً . . فقد سقطت قنبلة هيروشيما الذرية على اليابان وكانت شرّاً مطلقاً . . ولكنها ما لبثت أن أنجبت السلام ، وحررت المهارة اليابانية من اقتصاد الحرب المنهك . وأطلقت طاقات التحدي والإبداع . . وفي سنوات قليلة تحولت الأمة اليابانية الفقيرة المغلوبة فأصبحت سيدة الأمم

في الإنتاج والاقتصاد والثراء . ودخلت الصناعة اليابانية على أمريكا
عقر دارها .

وتلك مهزلة الأضداد التي تلد بعضها بعضاً .

ومن يقرأ التاريخ لا يدخل اليأس إلى قلبه أبداً وسوف يرى الدنيا
أياماً يداؤها الله بين الناس الأغنياء يصبحون فقراء . والفقراء ينقلبون
أغنياء . وضعفاء الأمم أقوياء اليوم وحكام الأمم مشردو اليوم .
والقضاة متهمون . والغالبون مغلوبون . والفلك دوار والحياة لا تقف .
والحوادث لا تكف عن الجريان . والناس يتبادلون الكراسي ،
ولا حزن يستمر . ولا فرح يدوم .

ترى هل يعلم قضاة أمريكا هذه الطبيعة الجدلية للحوادث ، لو
علموها حقاً لعلقوا صناع الكوكابين والهبروين على أغواد المشانق
ولضربوا بالحرية عرض الحائط .

كاب كانفرال . . الجمعة ١١ سبتمبر ١٩٨١ :

منصة إطلاق الصواريخ إلى القمر والكواكب .
المكوك الفضائي جاثم في مكانه على المنصة في انتظار أمر الإطلاق
بعد أيام .

١٧ مليون رطل وزن المكوك والزاحفة الحديدية التي حملته إلى
منصة الإطلاق .

ووزن الزاحفة وحدها ٦ ملايين رطل .
ووزن المكوك ١١ مليون رطل . . أشبه بعارة متعددة الأدوار
تقذف إلى الفضاء الخارجي في دقائق . . لتندفع بعد ذلك بسرعة ٢٢
ألف كيلومتر / ساعة .

عمل من أعمال العمليقة البشرية . .
وقفت أتأمل هذا المارد الإلكتروني المعتقل بكلايات من حديد .

والذى ينتظر لحظة الانفلات من قبضة الجاذبية .

وقلت لنفسي . . هذا هو شرف أمريكا الحقيقى .

العلم والتكنولوجيا والمال والصناعة .

وروح المغامرة والاندفاع الإيجابي نحو الجديد .

والرغبة فى اكتشاف المجهول .

وتذكرت ما كان يتصايح به البعض عند هبوط أول إنسان على

أرض القمر .

أما كان الأولى أن تنفق هذه الألوف من ملايين الدولارات على

البطون الجائعة التى لا تجد لقمة الخبز .

وكانت مثل هذه التعليقات تتردد فى أمريكا ذاتها .

وكانت المظاهرات تجوب الشوارع تطالب بالكف عن الإنفاق على

هذا الترف العلمى .

ولكنه لم يكن ترفاً . بل كان أشرف ما انفرد به الإنسان على كل

المخلائق . . الرغبة فى اكتشاف المجهول . بل كان الروح ذاتها الطامحة

نحو المعرفة .

أما ألوف الملايين من الدولارات فنساء العالم ينفقن أضعافها كل

عام على العطور وأدوات الزينة ، وأحمر الشفاه وطلاء الأظافر .

ولا أحد يعترض .

ونظرت إلى المازد المكبل أمامى فى انتظار لحظة الانفلات من

قيوده . . وقلت فى نفسى . . لا . . إنه لم يكن ترفاً ما أنفق من مال . .

ولو أنفق أضعافه فلن يكون ترفاً . . فقد بذل العلماء العظام أرواحهم

من قبل فى سبيل خطوة واحدة نحو الحقيقة . . بل فى سبيل حرف

واحد جديد يضاف إلى كتاب المعرفة . وليس بعد الروح شىء يبدل .

السبت ١٢ سبتمبر سنة ١٩٨١ في الطائرة إلى واشنطن :

فوق السحاب على ارتفاع خمسين ألف قدم . أشاهد فيلماً سينمائياً في الطائرة .

الذى يعرف المرأة الأمريكية من الأفلام لا يعرفها مطلقاً .
فالأفلام الأمريكية تعطى فكرة مغلوطة عن النساء في أمريكا .
إن النساء في أمريكا لسن مارلين مونرو . . . ولسن بطلات الإغراء
اللاتى نراهن يتفنن فى الغواية على الشاشة .

المرأة الأمريكية إنسانة جادة واقعية . لها استقلال الرجل
وحريته ، وهى تكسب حياتها بعرق جبينها مثله . . وهى تامله فى كل
مراحل الدراسة وتنافسه فى جميع أعماله .

والمرأة فى أمريكا أقوى شخصية من الرجل وأكثر منه صبراً
وتحملاً ، وأبعد نظراً وأصدق فراسة . . وتجدها فى مقاعد الرئاسة فى

كثير من المناصب الحكومية والحرية وتجدها باهضة بجميع الأعمال .
والمرأة سنة القادمة فى أمريكا ستكون عصر المرأة وليس عصر
الرجل . . وربما يكون هذا هو حال العالم أيضاً . . ألم نشهد مسيرات
فى إنجلترا . . وماريا دى لورديس فى البرتغال . . وسيمون فيل فى البرلمان
الأوروبى . . وأنديرا غاندى فى الهند . . وتيريزا حاملة لجائزة نوبل ؟
إن الركب يسير . ولكن الثمن ندفعه كلنا فادحاً . فالمرأة والرجل فى
الشارع وفى المصنع والمكتب والشركة . . والأطفال فى دور
الحضانة . . ولا يجد الرجل ولا يجد المرأة الوقت لتربى طفلها .
الروابط الأسرية تضعف . والطفل المحروم من الأمومة والأبوة يبدأ
يفكر لنفسه منذ السنوات الأولى . . ويتعود أن يواجه كل شيء
منفرداً . وهكذا تنمو الروح الفردية على حساب التماسك الاجتماعى
والترابط الأسرى . ولا أدري ماذا يمكن أن يكون الأثر لتفكك هذه
الروح بعد سنوات .

ما هو شكل المستقبل ؟ لا أدري على وجه التفصيل . . ولكن لن
يكون الأثر الحضارى إيجابياً بل سلبياً . وتفكك الأسرة مثل تفكك
الذرة يطلق أشعة وطاقة فى البداية . . ثم بعد ذلك يكون القضاء .
والمجتمع الأمريكى بحيويته يحاول أن يعوض هذا التفكك الأسرى
عن طريق مؤسسات الضمان الاجتماعى والجماعات الخيرية التى تتولى

الصدقة والإحسان وحضانة الأطفال وتربية الأيتام . وعن طريق البرامج الدينية المتطورة والتوعية الدينية التي تخصص لها ساعات طويلة من البث التليفزيوني .
والجماعات الدينية طرف آخر له صوت وضغط على الرأي العام الأمريكي من خلال المطبوعات والمنشورات والتدويعات الإذاعية والتليفزيونية .

والأمريكي العادي يستجيب لدافع الخير وللخوفز الدينية برغم الحياة المادية التي يعيشها .

ولكن هل يستطيع هذا النشاط الاجتماعي والديني أن يعالج التفكير الأسرى الموجود ؟ هذا سؤال لن يجيب عنه إلا المستقبل .
لقد رأينا مظاهرات نسائية في ألمانيا تطالب بترك العمل والعودة إلى البيت . . . وسمعنا عن زوجات في ألمانيا يشترطن على الزوج إعفاءهن من العمل للتفرغ للبيت .

هل هو وعي نسائي جديد سوف يغير اتجاه التاريخ ويعود بالمرأة من جديد إلى مملكتها الأولى أو هي مجرد صيحات . . . وتقاليع ؟
أشك في عودة المرأة إلى البيت بعد أن ذاق طعم الحرية والاستقلال . وبعد أن تربعت على كراسي الحكم وحررت السلطة .

ومائزاه في أمريكا نراه في كل مكان من العالم المتمدن .
إن تيار الحرية العارم جرف المرأة إلى الشارع ولن يعود بها . ونحن مقبلون على عصر جديد هو عصر المرأة . وسوف تكون امرأة أخرى مختلفة عن أمهاتنا . ولن أتعجل الحوادث وسوف أترك التاريخ يكمل القصة .

الأحد ٢٠ سبتمبر - أثينا . . طريق العودة . .

فارق مائة سنة بين شكل المدينة في بلد كاثينا . وشكل المدينة في بلد كنيوبورك . . وفارق مائتي سنة في العلم والخبرة . . وفارق ألف سنة في أجهزة القوة وعضلات التقدم .

وبعد قرن آخر من الزمان . إذا ظلت أفريقيا على حالها من التأخر ستصبح المسافة بينها وبين أمريكا كالمسافة بين الإنسان والقرد .

لقد أثبت العلم في القرن الأخير أنه يستطيع أن يغير البيئة تمامًا . ويستطيع أن يقلب موازين القوى . ويستطيع أن يحدث ثورة في الإنتاج ويستطيع أن يقود ويغير . وليس أمام أي بلد طموح بمحاول أن يلحق بركب العصر سوى أن يركب قطار العلم فوراً ودون تأجيل .

لكن العلم وحده لن يكفي . بل هناك شيء آخر هام . هو الحرية . فالحرية سوف تخلق المناخ لإفراز المواهب . وسوف تعطي

الفرصة لتصحيح الأخطاء . وحظ أمريكا من الحرية كبير . بل هو أكبر من اللازم . فصانع الخبز يجد فرصة . وصانع الكوكابين يجد فرصة . والقاتل يجد فرصة . واللص يجد عشر فرص . والشواذ جنسياً يجدون مائة فرصة . وتلك هي الثغرة الخطرة في نظام الحرية الأمريكي . وهم يقولون في أمريكا إن الحرية لا تتجزأ . .

وأنا لا أطلب بتجزئة الحرية . . ولكني أطلب بصرامة العقاب . . إنهم في روسيا يقطعون رقبة السارق . وفي السعودية يقطعون يده . . وفي أمريكا يعرضونه على الطبيب النفسي الذي يكتب تقريراً بأنه مسكين . وبأنه لم يتلق الحنان الكافي وأن أمه تزوجت غير أبيه . وأبوه تزوج غير أمه . ويقترح إعطائه معونة وشكولانة وعلاجاً نفسياً . ولا أفهم أي معنى لهذا التدليل سوى حماية الفساد وتشجيعه . ولا أفهم من أولى بالعطف . صانع الكوكابين الذي يدمر جيلاً بأسره أم الألو ف من ضحاياهم من أطفال وأولاد المدارس ؟

إن الحرية حينما تعنى قلب موازين القيم سوف تلغي مبرر وجودها نفسه . . فإن حرية صانع الكوكابين معناها استعباد الجيل كله في إغلال الخدر . . وحرية الشواذ جنسياً معناها فتح الباب على مصراعيه لإفساد الفطرة الإنسانية كلها .

أعتقد أنه لا بد من نظرة تشريعية جديدة في نظم العقاب

الأمريكية . فإن العلم والحرية لا يكفيان لضمان التقدم . بل هناك شرط ثالث لا بد من توفره وهو القيم . والقيم هي دعائم البنيان وبدونها ينهدم أى بنيان مهما بلغ من القوة . ولن تسلم القيم بدون حراس يسهرون عليها . لقد طرد الرئيس ريجان ١٧ ألف مراقب جوى بحجرة قلم . وهو حزم ملحوظ وسرعة في المبادرة . ولكن هناك ظواهر متعددة في المجتمع الأمريكي أولى بهذا الحزم وأولى بهذه الصرامة . مجرد ملاحظة من مسافر عابر .

وأفكار
من الساطع الآخر

الشيوعيون الجدد... وكيف يعملون؟

في الماضي... في الأربعينيات... كان الشيوعيون بطالا... كان يشعر
أنه يكافح من أجل قضية مقدسة... كان يقول صادقا أو واهما...
نحن نقاتل ونموت ونسجن في سبيل الجياع والمطحونين... نحن نحرب
على الاستعمار في كل مكان... نحن ثورة على الظلم والقهر
والاستغلال...

وكان الشباب الثائر ينظر إلى موسكو الكعبة... وإلى لينين رسول
الإنسانية... وإلى ماركس صاحب الإنجيل البروليتاريا...
وكان الماركسي راهب عصره وقديس زمانه، يمشي في مهالة من
الاحترام، ويموت شهيدا تكتب فيه الأشعار والمراثي، وتغنى فيه
الملاحم وتنسج حوله أساطير الجدد والبطولة، وكانت الاشتراكية
أغنية، والمادية الجدلية لاهوتا، وجيفارا مسيح الوقت.

ثم دار الزمن دورته وتغيرت المبادئ واقتضحت الأفكار وتمزقت
أقنعة النظريات . . . وإذا بالشيوعي الفيتنامي يقتل الشيوعي
الكمبودي . . . وروسيا تقاتل الصين . . . والصين تغازل أمريكا . .
والاشتراكية تستبدل ظلمًا طبقيًا بظلم طبقي آخر أكثر شراسة . وتزيح
طاغوت أفراد لتقيم طاغوت دولة . وتسجن مجتمعات بأسرها وراء
القضبان .

وبالأمس القريب كان حليف إسرائيل في العدوان الثلاثي على مصر
فرنسا الاشتراكية في عهد موليه الاشتراكي .

واليوم نرى روسيا تحتل أفغانستان ليس احتلالًا عقائديًا وليس
احتلالًا اقتصاديًا وإنما احتلال عسكري . واستعمار سافر وقهر لشعب
أعزل بالحديد والنار والقوة الغاشمة .

لم تعد للشيوعي مثاليات يتغنى بها . ولم تترك له روسيا شرفًا يقاتل
من أجله . ولم تبق له إلا عمالة سافرة لأبشع الأهداف . . . للقهر والظلم
والاستغلال . . . الذي كان يدعى أمام الناس أنه يحاربه .

لم يبق للشيوعيين إلا أن يكونوا عملاء استعمار لا أكثر . .
وجواسيس على بلادهم . . . وحربًا على أهلهم وأوطانهم . ترى ماذا
يقول جيفارا لوبيث حيا وتلفت حوله ينظر في وجوه رفاق الأمس
كاستروا البلطجي ، ومونجستو السفاح ، وإلى المبدأ الذي تحول إلى قتل

وقطع طريق . وسرقة شعوب ونهب أوطان . . . وماذا يقول عن الإخوة
الأعداء الذين قتل بعضهم بعضًا في عدن . . . وماذا يقول عن الرفاق
نور الدين تراقي وحفيظ الله أمين وبابراك الذين أعدم بعضهم بعضًا
لحساب السادة في الكرملين .

وماذا يقول عن متاهة الأكاذيب التي اعتنقها وروج لها واستشهد
في سبيلها ومات خادعًا مخدوعًا . وماذا يقول عن أسطورة البطل
الخرافي التي نسجوها حوله . أراهن أنه يموت من جديد غمًا وكمدًا
وعيظًا . . . إن الكل الآن يعيد النظر والعالم يعيد حساباته .

من كانت لهم الصدارة أصبحوا في آخر الصفوف . ومن كان لهم
المجد أصبحوا في أقفاص الاتهام . . . والمجنى عليهم أصبحوا جناة
وقتلة . . . والعسكر أصبحوا حرامية . . . وكعبة موسكو أصبحت مغارة
لصوص .

والشيوعيون الجدد مزقوا شعاراتهم ولافتاتهم وأنكروا هويتهم من
الجزى . وبددوا يستغيرون هويات أخرى وراحوا يعملون تحت رايات
أخرى .

إن التيار السائد الآن هو التيار الديني فليعمل الجميع تحت هذه
الراية . الضرورة واستراتيجية المرحلة تحكم . تلك مبادئهم . .
ولقد سمعنا الإرهابي الإيراني « فلاح الدين حبشي » يقول إن

حزب توده الشيوعي يعمل من داخل عبادة الخوميني . بل هم يعملون من تحت جلده . وفي سن الثمانين يصبح العجوز طفلاً في عقلته بسبب نصاب الشرايين . . وما أسهل أن يصبح العوبة في أيدي من يعرف كيف يقوده ويؤثر فيه .

وهم هنا في الجامعة يعملون من وراء الشعارات الدينية ويدفعون بالشباب المتطرف الرافض إلى هوس ديني في محاولة ذكية مأكرة للتخلص من النظام ومن الدين معاً . والوصول بالمجتمع إلى حالة من القوضى تصبح فيها الشيوعية هي طوق النجاة الوحيد .

هؤلاء هم أصحاب اللحي الجدد الذين يرفعون المصاحف على أسنة المطرقة والسندان . وينادون بالشرعية ليقطعوا بها أيدي خصومهم ويصلون على محمد بظاهر ألسنتهم وعلى لينين بكوامن قلوبهم . ويدفعون أمامهم بقطعان من الشباب الساذج ويقولون له . . اقتل . . احرق - خرب . . دمر . . في سبيل الله . . ضع القنابل في السينات والمسارح والبنوك والمؤسسات . . ارفع راية العصيان في كل مكان . . فتلك دولة الفسق وأنت المهدي المنتظر .

وما أكثر من يتدفع من الشباب ليموتوا في معركة ليست معركةهم فليكن الشباب على حذر من هذه اللغة المزدوجة . وليتذكر أن الدين

حب وسماحة وتقوى وعمل صالح وبناء وتقان في الخير وتعاون على الخير .

وليتذكر أن محمداً عليه الصلاة والسلام لم يكن سفاحاً ولا قاتلاً ولا مخرباً . ولم يكن يشعل الحرائق . ولم يكن يغتال الآمنين . بل كان بدأ خضراء ولسان صدق وكلمة محبة .

أما هؤلاء الرافضون فهم الماركسيون الجدد في لباسهم التنكري الجديد بعد أن تعرت مبادئهم وظهر فسادها حتى النخاع .

ضحك الشيوعيون على أنفسهم وعلينا حينما ظنوا أن الشيوعية حضارة جديدة تقوم على أنقاض الحضارة الأوربية الرأسمالية التي تصدع بنيانها ... وصوروا لأنفسهم ولنا أنهم أنبياء ورسول هذه الحضارة الجديدة إلى العالم ... والحقيقة أنهم يبيعون لنا نفس البضاعة القديمة تحت اسم جديد ... فما الرأسمالية والشيوعية إلا وجهان لعملة واحدة هي الحضارة المادية التي أنجبتها الوثنية الصناعية في بداية القرن التاسع عشر.

إن الوثنية الصناعية هي الحضارة الأم التي أنجبت النظام الرأسمالي كشكل اقتصادي . ثم النظام الشيوعي كشكل اقتصادي آخر ليؤدي نفس الهدف . وليخدم نفس الغايات . وليخلق نفس العقلية عقلية إنسان كل همه واهتمامه إشباع حاجات اللحظة (فيما يسمونه بأسطورة

الرخاء في النظامين) والسيطرة على البيئة وسيادة الكون وتغيير التاريخ (شعارات يتشدد بها الاثنان) وامتلاك المال والأرض والمصنع في الرأسمالية ... وامتلاك الرقاب الذي يمارسه الحزب الشيوعي (نفس الشيء وأسوأ) : وأسطورة القوة المادية (ممثلة في الغزو العسكري الرأسمالي وفي الغزو المذهبي الشيوعي الذي أسفر عن وجهه أخيراً فتحول إلى استثمار عسكري وغزو حربي صريح في الجمر وتشيكوسلوفاكيا وأفغانستان والسلفادور) .

بل إن نفس هذه الوثنية المادية قد أنجبت الصليبية والصهيونية لتقوم بنفس الدور تحت ستار الدين ... الاستثمار العسكري والغزو الفكري والسيطرة بالقوة على مقدرات وثروات الآخرين .

بل إنها هي التي تحول وتشجع وتصدر لنا حركات من نفس النوع ظاهرها ديني وحقيقتها سياسية وأهدافها انقلابية مثل التكفير والهجرة في بلادنا ، وحركة المهدي المسلحة في مكة وثورة الخميني في إيران (وقد خطط الخميني لثورته وهو في حضارة فرنسا ، ثم قام بها ونفذها تحت مظلة الحماية الأمريكية في إيران ، إنها نفس لعبة الأمم التي تلهو بنا كما تلهو بقطع الشطرنج) وقد عادت هذه الأمم فضربت إيران بالعراق لتكسيح الاثنين .

ومن العجيب أن ترى روسيا وأمريكا تعطيان السلاح للاثنين

وتحرصان على مد أجل الحرب بينهما كلما بدأت تفتت . . نرى هذا بأعيننا ولا نفيق ولا نعتبر .

نحن أمام نمط فريد من المكر العالمي يحاول أن يكرر بنا حتى باستخدام شعاراتنا . . شعارات الدين والإسلام . . فيشجعنا عليها بعد تزييفها . . فهذه الأنماط الجديدة من الإسلام الثوري هي نفس الشعارات الوثنية بعد إعادة تعبئتها في عبوات إسلامية . . إنها نفس الشعارات الاشتراكية التي تعرض الطبقات على بعضها . وتشدق بالرخاء وتثير أحلام السيطرة وتحرك العصبية . وتهيج الطائفية . وتولد الحزازات بين الملل . ولا تأخذ من الإسلام إلا الطقوس الشكلية والمظاهر .

إن جميع هذه الانحرافات هي نسخ متعددة مختلفة من أصل واحد . وإن تسمت أحياناً بالإسلام . وأحياناً بالصلبية وأحياناً بالصهيونية . وأحياناً بالرأسمالية . وأحياناً بالشيوعية . . إنها هي هي الوثنية الصناعية المادية التي تحاول أن تجعل من الإنسان عبداً للمكينات والمنتجات الترفية . والفاترينة الاستهلاكية . عبداً لأوهام السيطرة وأحلام القوة . . أسيراً لشهوات البطن والجنس وخادماً لرغبات اللحظة . . وقوداً للحروب . . مشغولاً بالتوافه والخسائس . . متهاكماً

على جمع الخطام الفاني . . مشتتاً بين الأوهام . . ممزقاً بين العصبية والخلافات حتى ينتهي عمره .

إنها جميعاً وجوه حضارة واحدة هي الحضارة الوثنية المادية . . وهم قد اختاروا لنا سلفاً وأرادوا لنا وأرادوا بنا ، وصنعوا لنا شعاراتنا الجاهزة . وصدروا هذه العبوات الفكرية والدينية المعلبة المزيفة . . وخططوا لنا كل البدائل التي أرادونا أن نختارها . . وفي النهاية طمسوا على أبصارنا بالإعلام الموجه والغزو الفكري ومدفعية الكتب والصحف والإذاعات والتلفزيون لنظل في دوامة لا نفيق على حقيقتنا أبداً . وفي نظرهم أنه لا يجب أن نخرج تفكيرنا واختيارنا عن قنوات مرسومة . . فنحن إما أن نحدو حذوهم النعل بالنعل . فننقسم إلى شيوعي ورأسمالي ويمين ويسار ونقتاتل فيما بيننا تحت رايات الرجعية والتقدمية الكاذبة . . ونتلق عنهم أولاً بأول علومهم ومخترعاتهم ونبدأ من حرف ال (ا) من حيث انتهوا هم إلى حرف ال (ي) . . ونظل مقيدين إليهم في عربة السبنسة وفي الأذيال . وإما أن نقبل البدائل المزيفة التي يروجونها بيننا باسم الحركات الإسلامية ، والثورات الإسلامية . والجماعات الصليبية . ويشجعون عليها بالمال والتأييد والمساندة السياسية . . وما هي من الإسلام أو المسيحية في شيء . . بل هي نفس الشعارات الوثنية بطلاء إسلامي أو مسيحي . . وهدفها

النهائي تخريب نظمنا وعقولنا . واقتلاع الإسلام من جذوره .
والإساءة إلى المسيحية في جوهرها . وكلها محاولات لإبعادنا عن تيار
الوعي الحقيقي الذي نملك بثأبيه .

هي محاولات للقضاء على الحضارة الأخرى الوحيدة المنافسة .
وهي الحضارة الإيمانية العلمية . التي هي روح الإسلام . وروح
جميع الأديان السماوية . والإنسان في هذه الحضارة الإيمانية العلمية
لا يستهدف إشباع الحاجات والرغبات والشهوات . وإنما على التقيض
من ذلك يحاول أن يقمع شهواته وأن يحكم رغباته وأن يقتصد في
حاجاته .

إن الفاتريّة الاستهلاكية ليست هدفه . وجمع الذهب ليس
غايته . ومتاع اللحظة ليس خطته . ولهذا فهو لا يجارب من أجل
هذه الأشياء . ولا يضع الوقت في تحصيلها .

وهو يرى أن عمره طويل بطول الأبد . وأنه سوف يموت ليعت .
ولهذا فهو لا يتعجل اللذات . ولا يشغل قلبه بالأحقاد . وإنما هو مهووم
دائماً بتربية نفسه . بالولاف بين متناقضاتها ومجاهدة رغباتها والصعود
بها هوناً درجة بعد درجة إلى أعلى المعارف .

والانتصارات التي يحتفل بها هي انتصاراته على نفسه . وتحرره من
عاداته وتخلصه من عبودياته . وخروجه من أسر الأنانية وانفلاته من

سخر لعصية والتقليد إلى هواء الحرية . حيث لا خوف من أي
شيء . حيث لا إله إلا الله . لا ضار ولا نافع غيره .

والإنسان لا ينظر لنفسه في هذه الحضارة باعتباره حلقة ختامية
نهائية للحوادث بحيث يحاول أن يستغرق نفسه بما يجمع وبما يملك وبما
يحقق لنفسه في الدنيا . وإنما هو حلقة وسطى . والدنيا بأسرها
مرحلة تؤدي إلى مرحلة . فهي مزرعة لحياة أخرى تتلوها . وهي
بمجرد عبور من حال إلى حال . وهي بروفة وديكور من القماش وعالم
من الوهم وامتحان . يعقبه عالم آخر من الحقائق . والحياة كدج
مستمر إلى الله لا ينهي . ونحن نمتلك أمامنا كل الزمن وكل الأبد
وكل الخلود . ولا داعي لأن نتعجل ونضيق أنفسنا في لعبة السيطرة
وأوهام القوة وهموم الرخاء والترف وإتقان البطون . وإنما حسينا
كفافتنا وقوت يومنا . وحسبنا ما يسترنا من ثياب فنحن على سفر .
ونحن في قطار . ونحن على كوبري . فكيف نتوقف لنبنى على الكوبري
ناطحات سحب .

ونحن بنسبنا الحقيقي ننسب إلى الله بحكم ما نفع فينا من روحه
وإليه مرجعنا ولا معنى لأي عصبية أو عرقية أو قومية . ولا معنى لأن
يقول كل واحد منا أنا . فتلك جميعها انحرافات عن الطريق وسبل
ملبوسة جانبية تضيع علينا طاقاتنا وحياتنا .

ولن يحفظ علينا حياتنا وقوتنا وطاقتنا سوى أن نتبنى ونتسبب من
البداية إلى الله خالقنا ونمثل لقانونه وشريعته ونلزم طريقه ونجعله همنا
ومقصدنا . . .

وذلك هو الفكر التوحيدي الذي يجمع شمل النفس . وشمل
جميع الأنفس ، وشمل جميع الأمم في مسيرة واحدة مباركة سبيلها
العلم والعمل ومكارم الأخلاق تقرباً إلى الله يارئ كل شيء . . . وهي
مسيرة لا تتعصب ولا ترفض ولا تحاصم ، وإنما تقبل وترحب بكل
مكتسبات الإنسانية عبر تاريخها . وتعمل على استثمارها وتنقيتها وتركيتها
لتقدمها كما أرادها الله نورانية صافية . . . وهي مسيرة أبد . . . ومسيرة
خلود .

وتلك هي حضارة أخرى مختلفة تماماً عن جميع الأشكال الموجودة
للحضارة الوثنية الصناعية . . . وهي ليست أبداً ما نرى حولنا في ثورات
إسلامية . . . أو حركات إسلامية حاقدة مسعورة . . . أو جماعات صليبية
تنشر الفرقة والعداوات الطائفية . . . فتلك وغيرها من انقلابات
شيوعية . . . وجماعات اشتراكية . . . هي بعض ما يخطط لنا . . . وبعض
ما يصنع لنا في الخارج من أفكار معلبة . . . ومؤتمرات محبوكة . . . وهي
جزء من خطط التعمية وطمس البصائر وإغراق المنطقة في ضباب

التضليل وفي صوضاء الدعايات والشعارات المتصلة . . . حتى لا نفقد
أبداً على ينابيع النور التي في أيديها . . .

فهل نفقد على حقيقتنا وهل نمسك بأول الخيط . . . وهل ندرك عمرنا
الحقيقي بطول الأزل والأبد . . . وبعمق الخلود . . . وبامتداد الكون كله
المرئي منه والخي . . . وهل ندرك نسبنا الشريف العظيم إلى الله بآزتنا
بحكم استمدادنا للروح منه ورجعتنا إليه . . . وهل ندرك معنى الآية
القرآنية العظيمة . . .

(يأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فلاقه) .

هذا الجواز
سوف يغير العالم

لندن . . الجمعة ٥ سبتمبر سنة ١٩٨٠ :

اكتشفت آخر الليل أني كنت جالسًا طوال اليوم أمام التلفزيون لم أفعل شيئًا سوى الحملقة في الشاشة الصغيرة التي ظلت تستدرجني من برنامج إلى برنامج . . من فيلم إلى رقصة . إلى أغنية إلى ندوة . إلى خبر . إلى استعراض . إلى سيمفوني . إلى ماتش . إلى مسرحية . إلى قصيدة حتى منتصف الليل وأنا في سريري معتقلا باختياري . . بل ربما أكثر قليلا من مجرد معتقل . فقد كنت طول الوقت معتقل الحركة أيضا معتقل الحواس . سجين الانتباه في شاشة عرضها ٢٢ بوصة لا أستطيع منها فكًا كما .

وحيثما كان السلام الملكي البريطاني يعزف لحن الختام كنت أ مسح عيني وأتساءل عن تأثير هذا الجهاز السحري العجيب الذي قلب جميع الموازين فالتلفزيون الجيد أصبح تأثيره الآن عكس تأثير الكتاب

الجيد . . فالكتاب الجيد يحرر الإنسان الذي يقرؤه ، أما التليفزيون
الجيد فيعتقل الإنسان الذي يشاهده . . يعتقل جوارحه ويعتقل خياله
ويقيد يديه ورجليه .

وساءلت نفسي . . ترى هل هذه هي المعتقلات الاختيارية
الجديدة التي توضع فيها المجتمعات العصرية حيث يغسل مخها بالأغاني
والرقصات وأفلام العنف ومشاهد الجنس ، ثم تعباً بالتوجيهات
المطلوبة والدعايات المرغوبة .

وأى نوعية من الأجيال الجديدة يمكن أن تخرجها هذه الجامعات
التليفزيونية الأمريكية . . لا أظن أنها يمكن أن تخرج النوعية القديمة
من الشباب الذي حارب وأقام إمبراطورية . . ولا أظن أن الأجيال
الجديدة في أوروبا يمكن أن تحارب بحماس من أجل أية قضية . .
فالشباب رخو مرفه ، وهو بعد عمل مرهق طول الأسبوع لا يفكر إلا
في صحبة ممتعة وحضن دافئ وكأس مترعة يغرق فيها عطلة نهاية
الأسبوع .

والشباب الجديد في أوروبا يعمل بنشاط ليكسب بوفرة وينفق
بكثرة ، وهذه هي العقلية المادية التي تسود العصر . . لا تدع اللحظة
تفوتك . . خذ منها أقصى ما تعطيه من كسب ومتعة ولذة . . عش
أيامك قبل أن تمضي ولا تعود . .

تلك هي فلسفة اليوم التي يعيش لها وبها الشباب . . بعد المصنع
الستريو وعلب الليل والمراقص ومبازل الويك إند . . فلسفة ينشرها
ويغزها ويروج لها جهاز خطير اسمه التليفزيون العصري .

جهاز خطير سوف يغير العالم كله . . وسوف يجعل العهر على
الشيوع والانحلال أمراً عادياً ، واتباع الهوى بداهة وطلب اللذة
مشروعاً مثل بطاقة سكر الخمرين .

وفي الجانب الشيوعي والاشتراكي من العالم حيث النظم شمولية ،
والحزب الحاكم واحد ومنفرد بالسلطة ، نجد الحصار الإعلامي في
التليفزيون بالغ الذروة في غسل الأمتاخ وتفريغ العقول . وإعادة ملئها
على هوى الحاكم . وعلى قوالب النظام . وتكاد البرامج كلها تمشي
على جسور مرسومة لا تفلت منها كلمة .

على حين أننا في الجانب الديمقراطي الحر من العالم حيث تتعدد
الأحزاب وتتعدد الآراء وتتعدد الصحف تظهر شواهد كثيرة لهذه
الحرية في البرامج التليفزيونية . ويحد المشاهد أمامه أكثر من رأى
يستمع إليه ويختار منه . . وهو بذلك يفلت من السجن السياسي
المضروب على العقول في النصف الشيوعي من العالم ، ولكنه يقع في
سجن شهواته بما تثير فيه برامج العري والجنس من رغبات مستعرة
تعطل عقله .

ونحن في الحالين أمام جهاز خطير له قدرة تشكيلية على العقول والأذهان . . . وهو مع التكرار والاستمرار سوف يخلق نوعاً من العود على ألوان من البرامج الاستمتاعية يستحيل بعد ذلك تغييرها أو إيقافها . سوف نصبح أمام جمهور مثل طفل تعود على مضاضة أو لبانة إذا حاولت انتزاعها من فمه ارتفع عويله وصراخه .

ولو وقف مصلح اجتماعي يطالب بإيقاف هذه البرامج اللاهية وتحويل البرامج التلفيزيوية إلى نوع من الجامعة الشعبية وتحويل الإعلام الاستمتاعى إلى إعلام تربوى . . . مثل هذا المصلح سوف يواجه بالطوب ومظاهرات الاحتجاج من الجمهور نفسه . . جمهور الأغاني والقبلات والمسلسلات والرعب والدم والجنس والكورة . . قتل هذه البرامج أصبحت الآن أفيونة ومضاضة ولبانة يعضغها المشاهد في تلذذ ويستمتع بسمومها وينام على تخديرها ولم يعد من الممكن انتزاعها منه إلا باستخدام القوة القهرية . . والقوة القهرية سوف تلقى بنا إلى سجن أسوأ هو الحصار الإعلامى الذى يشكو منه النصف الشيوعى من العالم . . فنحن بين نارين . والمأزق يسير نحو حارة سد .

وهذا الجهاز السحري بسبيله إلى إحداث تحولات في الوعي الإنسانى . ستكون للأسف بالسلب وليس بالإيجاب .

ولن تكون أجيال التلفزيون القادمة أحسن بل أسوأ من أجيال ما قبل التلفزيون .

ويضايف من الأثر النفسى للتلفزيون . . أننا نتلقى برامجنا وننحن في الفراش في حالة استرخاء كامل أو في كراسى وثيرة باليجمما وحوثنا الأطفال يشربون يعيونهم كل حركة وكل همسة . . وهذه الحالة تجعل النفوس مفتوحة قابلة للتطبع بكل فكرة ترد عليها .

وقد بدأنا نشاهد الآن أطفالاً يرتكبون عمليات قتل وسطو . وطلبة بالجامعة يؤلفون عصابات . . ويعرض العالم كله تنتشر عمليات العنف والخطف واحتجاز الرهائن وتفجير القنابل . . وفي المدن الكبرى في أوربا لا تكاد تجد فتاة بعد السابعة عشرة محتفظة ببيكرتها .

وفي أمريكا يقول علماء النفس إن هذه نتائج طبيعية . فالشباب الأمريكى لا يبلغ الثامنة عشرة إلا ويكون قد شاهد أكثر من عشرة آلاف جريمة قتل واغتصاب وزنى وسرقة تمارس أمامه على شاشات التلفزيون . . فأى غرابة بعد هذا فى أن يفقد الجسم العارى حرمة . وأن يفقد القانون هيئته . وأن تفقد الأعراف الخلقية سلطانها .

إن العين تألف الانحلال والفساد فيصبح من كثرة عرضه أمامها شيئاً مألوفاً لا غرابة فيه . . وتصبح القبيلات والأحضان والمضاجعة أشياء عادية مثل المصافحة .

إن ضغطة بطرف البنان على زرار أصبحت كفيلة باستحضار كل منتجات هذه المدنية العجيبة بعهرها وخلاعتها وفنها وفكرها وعلمها وصلاحيها وفسادها في لحظة.

وصحيح أن التليفزيون يعرض بالفعل فنوناً رفيعة وأفكاراً عالية وهو يقدم الدين والقيم والعظات والعبر إلى جانب الجريمة والجنس والانحلال . . لكن الفساد يأتي فيه مزوقاً جذاباً وهو يغازل النفس بمشيتها . ويراودها في ضعفها وهو يقدم لها وعداً عاجلاً فوراً باللذة . في حين يقدم الواعظ الديني وعداً مؤجلاً ولا يجد معه مشهيات الفن وزخرفة الشعر والموسيقى والأغاني التي يجدر بها الحواس . . فما تلبث اللحظة الفاسدة أن تجرف أمامها كل المؤثرات الطيبة . . وينام المشاهدون كل ليلة على الجانب اللذيد المغري من المسألة .

نحن أمام جهاز خطير يدخل إلى المخادع وغرف النوم . وأمام برامج تصبح من فرط التكرار من قبيل المناهج السلوكية المقررة التي يتشرها الأطفال والشباب وتسرى في دمائهم مع الشاي والقهوة والسيجارة . وتتحول إلى عادات لا فكاك منها . . ثم تتحول إلى سلوك ثم تصبح طباعاً وأنماطاً وملامح عصر .

هل نحن أمام جهاز سيغير العالم . . ؟ ! ! قد يجيب البعض بأن

المشكلة قائمة حتى في البلاد التي شددت الرقابة على التليفزيون . ومنعت إقامة دور السينما العامة . . فرغم الحظر والرقابة والمنع ظهرت فيها مصيبة أخطر هي أشرطة الفيديو المتسللة والمهرجة والأفلام الجنسية تعرضها الشلل والعائلات المحترمة في بيوتها الخاصة . . وفيها من الغواية والإفساد والفحش أضعاف ما في السينما المباحة . . ومن وراء هذه الأشرطة المهرجة تقوم تجارة عالمية منظمة ومكاتب أمافيا جنسية متخصصة تعمل على نشر وتسجيل وترويج هذه البضاعة المدمرة . وتدفع مبالغ مغرية للممثلات المشهورات في مقابل دقائق من اللقطات الجنسية الفاضحة لإثارة فضول المشتري واجتذابه للصنف . سوق نخاسة إلكترونية جديدة ضحاياها ملايين .

وهكذا تنوع صنوف الإغواء التي يتعرض لها المواطن . فمن ينجو من الإعلام الشيوعي اليساري يقع في حبال الإعلام الفاشي النازي . ومن ينجو من غسل مخه في الناجيتين يقع ضحية الإعلام المنحل في النظم الغربية الديمقراطية . ومن يلجأ إلى البلاد المحافظة التي تغلق على نفسها الأبواب والنوافذ وتحكم ترابيس المنع والرقابة لا يسلم من تسلل أشرطة الفيديو وأفلام البورنوجرافى من تحت عقب الباب . . ومن وراء كل هذا تقوم سوق المخدرات والكوكايين والمرويين وأقراص المزاج وحقن الماكستون فورت تهيئ الجو وتعد المناخ .

طوفان من المؤثرات يسير بنا إلى عصر سيئوم وعمورة جديد . . . وقتن
يقف منها الحليم حيران . . . ويتساءل المتسائلون . . . هل من حل
ويرغم كل شيء . . . ويرغم تحالف الظلمة على هذا العصر . . . فأنا
أرفض العنف كحل . . . ولا أؤمن إلا بالوعى والحرية وإحياء الضمائر
والمناقشة العلنية المفتوحة وفتح النوافذ على العيوب والاعتراف بالتناقض
وعلاجها . لا رجوع إلى وراء . . . ولا رفض لمكتسبات العلم .

التليفزيون والسينما والراديو أدوات محايدة بريئة وهي علامات
تقدم . . . وإنما هي تصبح علامات تأخر بما يوضع فيها .

والحل هو ترشيد الإعلام عن طريق مائدة مستديرة يدير الحوار فيها
حكماء العصر وعقلاؤه في محاولة لإقامة مبادئ جديدة للرقابة الواعية
على الكلمة المذاعة . أما عصابات المافيا الجنسية والمخدرات فتحارب
بأساليبها .

ثم يبقى بعد ذلك وقبل ذلك أن ينتصر كل منا في حربه مع نفسه
أولا . ومن يخسر حربه مع نفسه يخسر في كل الميادين . . . ولن ينجيه
قانون أو نظام أو عصبة أمم . . . فهو قد خذل جميع القوانين حينما وضع
سلاحه واستسلم للهوى من أول معركة .

فمن هناك لينصر ذلك الذي لم ينصر نفسه .
وفي كتاب المواقف والمحادثات للنفرى يقول الرب لعبده :

« الهوى رسول من رسل بأسى الشديد أرسلته إليك . وفي الهوى
نارى . فإذا جاءك جاءتك نارى فأدخلها . . . قلت كيف يارب
أدخلها . . . قال لا تستجرب علم ولا بمعرفة فإذا استجرت بهما أسرك الهوى
وأسرهما . . . واعلم أنه لا مجير من الهوى إلا أنا . . . ولن تخرج من نار
أهوى بعلمك ولا بمعرفتك . . . وسوف تقيم في النار حتى تأكل النار
الجزء التالف من عقلك ومن نفسك . . . فإذا أكلت النار ذلك الجزء
تظهرت وأدركت أنه لا مجير من الهوى سوى فصرخت إلى فجئتك
وصرفت عنك نارى فلم تعد إليك » .

ويقول ربنا في كتابه الكريم في أجمل آيات التوكل .

(واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ، وأنه إليه تحشرون) .

[الأنفال ٢٤]

وذلك هو التدخل الإلهي اللطيف في لحظات التردى حينما يشرف
الواحد منا على إهلاك نفسه فتأتى المشيئة الإلهية فتحول بين الواحد منا
وشهوة قلبه فتقذه .

وذلك هو الأمل الذى يفتحه الله للصالحين والمستنجدين حينما
تغلق كل الأبواب . . . وحينما يطعم الطوفان . . . وحينما لا تعود الحكمة تنجى
ولا العقل يفيد . . . وحينما يشاء الله حسن الختام . ادعوا معى بحسن
الختام .

المساهمون في يوغوسلافيا

مدينة موستار رمضان ١٩٨٢

تكية الدراويش على منابع نهر بونا . في قلب يوغوسلافيا .
والمياه تنساب في مساقط وشلالات صغيرة ، وتنعقد في دوامات
لتجري كدوائر من اللؤلؤ تحت قدمي . وعلى جدران التكية تتدلى
مسابح طويلة . وعلى السقف آيات قرآنية ورسوم وكتابات بالتركية
والعربية يعود تاريخها إلى أكثر من أربعة قرون منذ دخول الأتراك من
٤٥٠ سنة .

ومن النافذة أرى نهر بونا يخرج من أعماق مغارة في وسط الجبل
وينساب مثلجا باردا برغم الجو الشديد الحرارة .

غسلت وجهي الملهب بماء النهر الثلج وتوضأت واستقبلت القبلة .
من هناك حيث القبلة أمامي من قلب مكة . من أكثر
من ألف وأربعمائة سنة خرج رجال يحملون كلمة لا إله إلا الله ليصلوا

بها كاندفاع الريح إلى شواطئ الأطلسي والفارسي . وليعبروا المتوسط .
وليدخلوا من بوابة البلقان إلى قلب أوروبا . ومن مضيق جبل طارق إلى
إسبانيا . . وعلى هذه الأرض مازالت آثار خطواتهم على الرمال . .
ومن هذه المياه شربوا وتوضؤوا .

لا . . لم يكن بالسيف دخول الإسلام إلى هذه الأرض . . فقد جاء
بهذا الدين تجار مسلمون منذ القرن الحادي عشر إلى يوغوسلافيا .
وآمن به اليوغسلاف القدامى (في جمهوريات البوسنة والهرسك
وكرواتيا ومكديونيا) اختيارا ومحبة قبل أن يأتيهم الأتراك غزاة . . وقبل
أن يرتفع سيف أويغولق سبهم . . إن تاريخ الإسلام على هذه الأرض
قديم .

وعلى هذا الجبل الشاهق لم يصعد جندي تركي واحد إلى دير
البوجوميل على القمة ، حيث اعتزلت طائفة من النصاري الأوائل
رفضوا المذاهب الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية ، واعتصموا
بديانتهم الأولى القبطية . . لم يصعد إليهم جندي تركي واحد .
ولكنهم هم الذين نزلوا من القمة مرحبين بسفراء لآله إلا الله . . قاتلين
في فرحة . . لقد كنا في انتظاركم . . لقد قرأنا خبر نبيكم في إنجيلنا . .
وأسلموا جميعا من فورهم . . ومازال الدير القديم على قمة الجبل يحكي
القصة . ومازال الطريق إلى الدير وعرا لا يستطيع أحد أن يتسلقه

وحيثما انحسر الغزو التركي وضعفت الدولة العثمانية ، واستولت
الامبراطورية النمسية على أوروبا ، وفرضت مذهبها الكاثوليكي ثم من
بعد الحرب العالمية الأولى حينما تكونت مملكة صربيا ، وفرضت مذهبها
الأرثوذكسي . . ثم بدأت الحروب الطائفية بين الكاثوليك
والأرثوذكس ، وبين الاثنين والمسلمين ظلت يوغوسلافيا مسرحا
للحروب يقتل بعضها بعضا لم ينقذها من الهلاك إلا جنود تيتو من
جيش التحرير .

بطول هذه الحروب لم تستطع السيوف أن تترع كلمة لا إله إلا الله
من قلب أربعة ملايين مسلم . . هم مسلمو يوغوسلافيا اليوم . ولم يكن
ما حدث منذ ٤٥٠ سنة في يوغوسلافيا استعمارا تركيا . . فلم يدخل
الغزاة الترك ليترحلوا خيرات البلاد ولا معادنها ولا كنوزها كما فعلت
إنجلترا وفرنسا من بعد . . وإنما دخل غازي خسرو بك إلى سراييفو ليبنى
مسجداً ومكتبة ومدرسة إسلامية ، وليخصص وفقا لحتم المصحف كل
يوم يوزع ريعه على ثلاثين قارئاً يحنثون المصحف كل يوم . . ومازال
هذا الحتم مستمرا إلى اليوم في مسجد خسرو بك الكبير في سراييفو ،
حيث يجتمع ثلاثون قارئاً يحنثون المصحف . وهو تقليد لا مثيل له في
أى مسجد في العالم . . كما أنشأ خسرو بك تكية لإطعام الفقراء .
ولتقديم وجبة للمسافرين وعلفاً لحيولهم .

ومكتبة غازي خسر وبك بها ١٥ ألف مخطوط من أنفس الكتب .
ومدرسة خسر وبك كانت تخرج الأئمة والوعاظ والعلماء . وكانت
تركيا تصف للمدرس اليوغسلافي نفس المرتب الذي تصفه للمدرس
لتركي في الأستانة .

وداماد علي باشا فاتح موريا (بوابة البلقان وأكبر قلعة في أوروبا في
ذلك الحين) هو الآن مدفون في كالعامبيحجان (قلعة ميدان) وله
قصر يحيط به ويلقبون القروش في ضريحه تبركا . وذلك لسمعته في عمل
الحرب والخدمة المظلمة ومعونة المحتاج .

لم يكن الغزاة غزاة . وإنما حملة حضارة . ولكن الذين كتبوا
التاريخ كتبوه على هواهم . وكانت لهم مصلحة في تشويه الحقائق .
ولقد ظلت المنطقة تعج بالحروب والفتن والانقسامات حتى
جاء تيتو فاستطاع أن يوحد جمهوريات يوغوسلافيا الثماني ذات اللغات
المتعددة (صربية وكرواتية وسلوفينية إلخ) . والديانات المتعددة
(إسلام وكاثوليك وأرثوذكس وشيوعيين) تحت علم واحد وولا
واحد . ونص تيتو في دستوره على حرية المسلم في أداء شعائره والدعوة
لدينه . وكذلك حرية المسيحي وحرية الشيوعي . ويحفظ له المسلمون
الجبل ويقولون إنه أنقذ الإسلام والمسلمين من المصير الذي حاق به
في ألمانيا والنمجر وبولندا وروسيا .

كما أنه أنقذ يوغوسلافيا من الشيوعية الستالينية ، ومن الحروب
الطائفية ، ومن التبعية العمياء لروسيا أو أمريكا . . واختار لها خطأ
اقتصاديا خاصا بها هو دولة المؤسسات . . وهو ذلك الخط الوسط
الدقيق بين ملكية الفرد وملكبة الدولة . فالمؤسسات في يوغوسلافيا
ليست مؤمنة ، ولكنها ملكية خاصة - جموعية - للعاملين فيها يعود
عليهم ربحها وخسارته . وهذا يعطيهم الحافز للعمل والخدمة
الأحسن .

وقد قرأ تيتو القرآن ثلاث مرات (في ترجمته اليوغوسلافية) ،
وكانت آخر مرة في مرضه الأخير . . كما أوصى قبل موته ألا توضع على
قبره النجمة الشيوعية ، وبألا يكفن في الكفن الأحمر الذي يكفن به
الشيوعيون . . كما رفض أن يوضع على قبره الصليب ، وأن يدفن تبعاً
لأي طقس مسيحي ، وطلب أن يدفن في بيته بلا طقوس ،
وألا يكتب على قبره أي كلمة سوى تيتو - ولد في كذا ومات في كذا
وذهب وذهب معه سره . ولا تعلم على أي عقيدة مات . . ولكنه
ترك وراءه يوغوسلافيا المتحدة والسلام والحرية والعمار .

وراء بقاء كلمة لا إله إلا الله في يوغوسلافيا ، وبقاء الإسلام حياً
في قلعة الإلحاد الأوربية جهود خارقة لجنود مجهولين . . كما أن وراءه
تخطيطاً وتنظيماً مستثيراً متقدماً متطوراً .

والوحدة الإسلامية في يوغوسلافيا هي المسجد . والمسجد مجلس إسلامي يديره . ثم إن لمجموع المساجد في مدينة مجلساً أعلى . ثم إن لمجموع المدن مجلساً نيابياً في كل جمهورية من الجمهوريات اليوغوسلافية . وهذا المجلس النيابي ينبثق منه مجلس إسلامي تنفيذي يسمى « المشيخة » . والمشيخة الإسلامية هي الوحدة الفعالة التي تقوم بجميع الأعمال الدينية من تعيين الأئمة والوعاظ والخطباء . إلى إنشاء المدارس الإسلامية . إلى إصدار النشرات والمجلات والكتب . إلى بناء المساجد وتعيين المفتين . ويرأس المشيخة رئيس مختار من المجلس النيابي وفوق الكل رئيس العلماء .

وفي المشيخة الإسلامية لجمهورية البوسنة والهرسك وكرواتيا وسلوفينيا ومقرها سراييفو . التفت برئيس المشيخة الدكتور أحمد سمائلوفتش ، وهو متخرج من الأزهر ، وحائز للدكتوراه على رسالة نادرة عن الاستشراق . قال لي الدكتور أحمد :

- في الجمهوريات اليوغوسلافية أكثر من ألف مسجد وجامع . وفي مشيخة سراييفو وحدها أكثر من ألف واعظ ومرشد ديني . وعندنا هنا في سراييفو مدرسة ثانوية لتخريج الأئمة يدخل فيها الطالب من سن الخامسة عشرة ، ويعيش في حضانة كاملة وإشراف ديني كامل من اللحظة التي يصحو فيها إلى اللحظة التي يرقد فيها لينام . وفي

لمدرسة عنابر للأكل وعنابر للنوم . وفيها مكتبة . وعلى الطالب أن يصلي جميع الفروض في المسجد في أوقاتها . وأن يتابع ويقرأ كل ما يستجد من العلوم المفيدة .

وفي سراييفو أيضاً معهد ديني مماثل للبنات لتخريج الداعيات المسلمات . وقد سمعت إحداهن واسمها سعادة سربا . تقرأ القرآن وتجود في مسجد تشاي تشا بصوت جميل ساحر . وحولها رواد المسجد يستمعون في خشوع . وقد أغمضوا عيونهم وانحضلت لحاهم بالدموع . وقد أنشأت المشيخة أيضاً كلية للدراسات الإسلامية

يقول الدكتور أحمد سمائلوفتش : نحن نعيش في قلب أوروبا في مناخ ثقافي مستنير . يعج بالتيارات الفكرية . وعلى المسلم أن يقرأ ويتعلم ويتفتح على جميع التيارات ليعرف كيف يتعامل معها في سلام . وكيف يرد عليها بمنطق وبموضوعية ويعلم دوئها تعصب

نحن نترجم ونطبع وننشر هنا كل جديد في الفكر الإسلامي من جميع اللغات . وعندنا ناد للشباب يلتقي فيه الشباب من الجنسين في ندوات ولقاءات فكرية أسبوعية . يدور فيها الحوار في كل ما يشغل البال من مشاكل العلم والدين والمجتمع

وتصدر المشيخة مجلة نصف شهرية هي البعث الإسلامي . وأخرى شهرية هي الفكر الإسلامي هذا غير مجلة زمزم التي يصدرها طلاب

معهد خسرو بك كل شهرين ، وقد أنشأنا مركزاً إسلامياً في مدينة
لوبليانا . ونحن الآن نقوم بإنشاء مركز ثان في زغرب قدرت تكاليفه
المبدئية بستة ملايين دولار

والاستماع إلى الدكتور أحمد سمابلوفتش متعة . فهو شعلة من
الحماس والحرارة والنشاط والعمل الدائب . وهو مثال نادر لهذا التزاوج
العجيب بين الروح الأوروبية والقيم الإسلامية الرفيعة . فأنت ترى فيه
الهمة والمبادرة والإنجازية التي تراها في الأوربي . كما ترى فيه السماحة
والتواضع والحلم والكرم والإيمان وطمأنينة القلب ووداعة النفس التي
لا تراها إلا في المتدين

وهو نموذج جديد مبشر بحضارة جديدة سوف تنشأ من تزاوج
الحضارة الإسلامية بالحضارة العلمية الأوروبية . وهو ورفاقه
المتاضلون عبد الرحمن هوكتش . وحمدى يوسف سباهتش .
وسعيد إسماعيل كتش وشوقي عمر باشيك وغيرهم من الكثرة الذين
قابلت وعرفت . هم طلائع جيل جديد من الصفوة مثلهم بالنسبة
لأوروبا مثل الصحابة الأوائل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي في مجتمع
الإسلام الأول

قال لي حمدى يوسف سباهتش مفتي بلغراد :

- كانت أغنية المهدي التي تهديني بها أمي هي كلمة لا إله إلا الله

تغنيها في حنان ، وهي تهزني بين ذراعيها حتى أنام . . . وكان أول
ما نطقت به شفتاي . وأنا رضيع هي كلمة لا إله إلا الله . . . وكان آخر
ما قالت لي أمي وهي على فراش موتها : يا ولدي أهون علي أن تموت
مؤمناً شهيداً من أن تعيش وزيراً كافراً .

قال هذا ودمعت عيناه وهو يعود بخياله إلى مشهد وفاة أمه الأخير
قال لي : لقد جئت إلى بلغراد مع زوجتي المصرية ، وليس فيها
إلا مسجد واحد تبقى من ٢٧٣ مسجداً هدمت كلها وأزيلت . . . وحتى
هذا المسجد الواحد كان مغلقاً . . . وكان المفتي السابق يلزم بيته لا يبرحه
خوفاً من الناس .

قال وعيناه تلمعان . . . ولففت عمامة المفتي على رأسي . ومشيت في
شوارع بيوجراد أتسم لكل من ألقاه . وألقي إليه بتحية الإسلام .
وأحبنى الكل . . . وأحببت الكل . . . الكاثوليك والأرثوذكسي
والشيوعي والمسلم .

وفتحت المسجد . . . ولم يتسع لكثرة المصلين في العيد ، فأخذناهم
على ثلاث نوبات في كل مرة ستائة .

ولا أنسى ما رأيت من أمر هذه الصفوة الطيبة في سرايفو يوم
العيد . . . وقد اجتمعوا في بيت مدرستهم وأستاذهم العجوز دكتور أحمد
توزلتش أستاذ اللغة اللاتينية واليونانية ٨٩ سنة . . . وتكلموا ليجلسوا

معهد خسرو بك كل شهرين . وقد أنشأنا مركزاً إسلامياً في مدينة
لوبليانا . ونحن الآن نقوم بإنشاء مركز ثانٍ في غرب قدوت تكاليفه
المبدئية ستة ملايين دولار .

والاستماع إلى الدكتور أحمد سمائلوفتش متعة . فهو شعلة من
الحماس والحركة والنشاط والعمل الدائب . وهو مثال تادر لهذا التزاوج
العجيب بين الروح الأوروبية والقيم الإسلامية الرفيعة . فأنت ترى فيه
الهمة والمبادرة والإنجازية التي تراها في الأوربي . كما ترى فيه السماحة
والتواضع والحلم والكرم والإيمان وطمأنينة القلب ووداعة النفس التي
لا تراها إلا في المتدين .

وهو نموذج جديد مبشر بحضارة جديدة سوف تنشأ من تزاوج
الحضارة الإسلامية بالحضارة العلمية الأوروبية . وهو ورفاقه
المناضلون عبد الرحمن هوكتش . وحمدى يوسف سباهتش .
وسعيد إسماعيل كتش وشوقي عمر باشيك وغيرهم من الكثرة الذين
قابلت وعرفت . هم طلائع جيل جديد من الصفوة مثلهم بالنسبة
لأوروبا مثل الصحابة الأوائل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي في مجتمع
الإسلام الأول .

قال لي حمدى يوسف سباهتش مفتي بلغراد :

- كانت أغنية المهد التي تدهدني بها أمي هي كلمة لا إله إلا الله .

تغنيها في حنان ، وهي تهزني بين ذراعيها حتى أنام . . . وكان أول
ما نطقت به شفتاي . وأنا رضيع هي كلمة لا إله إلا الله . . . وكان آخر
ما قالت لي أمي وهي على فراش موتها : يا ولدي أهون علي أن تموت
مؤمناً شهيداً من أن تعيش وزيراً كافراً .

قال هذا ودمعت عيناه وهو يعود بخياله إلى مشهد وفاة أمه الأخير .
قال لي : لقد جئت إلى بلغراد مع زوجتي المصرية ، وليس فيها
إلا مسجد واحد تبقى من ٢٧٣ مسجداً هدمت كلها وأزيلت . . . وحتى
هذا المسجد الواحد كان مغلقاً . . . وكان المفتي السابق يلزم بيته لا يخرج
خوفاً من الناس .

قال وعيناه تلمعان . . . ولففت عمامة المفتي على رأسي . ومشيت في
شوارع بيوجراد أتسم لكل من ألقاه . وألقي إليه بتحية الإسلام . . .
وأحبنى الكل . . . وأحببت الكل . . . الكاثوليك والأرثوذكس
والشيوعى والمسلم .

وفتحت المسجد . . . ولم يتسع لكثرة المصلين في العيد . فأخذناهم
على ثلاث توبات في كل مرة ستائة .

ولا أنسى ما رأيت من أمر هذه الصفوة الطيبة في سرايفو يوم
العيد . وقد اجتمعوا في بيت مدرسهم وأستاذهم العجوز دكتور أحمد
توزلتش أستاذ اللغة اللاتينية واليونانية ٨٩ سنة . . . وتكلموا ليجلسوا

في ظله وكأنهم يتظلمون في ظل سديانة ، وهو يذهب ويعود في نشاط
وفي يده أطباق الكعك يقدمها لهم في حب وأبوة وهم يأكلون من
يده ، ويدعون له بالصحة والعمر ، وينظرون إليه في احترام وإجلال
ومودة .

قال لي الدكتور أحمد سميلوفتش هامسًا وهو يشير إلى أستاذه :
- إن سيدنا يحفظ القرآن كله عن ظهر قلب مع أنه لا يعرف
العربية .

ولما رأيته أبدو دهشتي قال : هذا حال الألوف من أهل
يوغوسلافيا . يحفظون القرآن ويتلونه ويكونون دون معرفة بالعربية
وهم يسمون الذي يحفظ القرآن حاجي حافظ .

وكنيت مازلت على دهشتي . أعجب في نفسي . . ماذا يعني
عندهم اللفظ القرآني حتى يكون لتلاوته . . هل هو الإيقاع . . أو
النغم . . أو السر الإلهي الذي وراء الإيقاع ووراء النغم ووراء الحروف .
وقد ظلت على دهشتي حتى رأيت بنفسى الأعداد الغفيرة من
اليوغوسلاف الذين يصلون يوم العيد يكون في أثناء الاستماع إلى تلاوة
القرآن دون أن يعرفوا من العربية حرفًا .

وخطباء الجمعة يبدأون الخطبة بالعربية ، ثم يترجمون ما قالوا
باسهاب إلى اللغة اليوغوسلافية .

وهناك محاولات دائبة ومستمرة لتعليم اللغة العربية ونشرها
ولكن إيمان الناس لم ينتظر . وإنما عانقوا لا إله إلا الله واقتدوها
بأرواحهم . وأمنت قلوبهم واطمأنت نفوسهم . وشبعت أرواحهم
وقالوا : نتعلم فيما بعد ونشبع عقولنا فيما بعد .

وهنا يأتي دور المشيخة الأسطورية في نشر الفكرة الإسلامية
وترجمتها وتوصيلها إلى الملايين العطاش . وإلى العقول المتلهفة التي
تريد أن تعرف ماذا في هذا القرآن الذي سحرها .

رسالة شاقة حملها هذا النفر القليل من الصحابة الكرام يبدأون
من الصفر من اللوح الأردواز والأبجدية . ويمشون مع الناس حرفًا
حرفًا .

وأكبرت فيهم هذه الروح . ورأيت فيهم لونا من الإسلام الأول في
نقائه وفطريته وبكارتته وظهارته .
ولا شيء يشبه ذلك إلا طبيعة يوغوسلافيا ذاتها جبالها وأوديتها
وبناييعها العذبة . وزروعها الخضراء وغاباتها الكثيفة . ووزرودها
الزاهية . وسمائها الصافية .

والماء يتفجر من كل مكان باردًا مثلجًا نقيًا عذبًا من تحت
فميك .

جمال بكر فطري غير مصنوع . تغسله الأمطار وتصففه يد

الرياح . . . كان شيئاً مختلفاً عن جمال النسا الذي رأيته فيما بعد
ذلك الجمال المصنوع . . . فالأشجار والحشائش والغابات في النسا
صنفتها يد (الكوافير) البشرى . وهندستها وخطتها يد مهندس
الديكور . . . مثل وجوه النساء هناك . . . الحواجب مرسومة بالقلم
والحدود مغطاة بالمساحيق . وفي يد كل امرأة كلب هو الآخر مصفف
الشعر .

وبين حدود النسا وحدود يوغوسلافيا دقائق . . . ولكن كل منهما عالم
غير العالم وناس غير الناس .

وعشت في النسا وقلبي معلق بالصحبة الكرام في سراييفو . وخیالی
مازال يصغى إلى صوت سعادة سرنا التي سمعتها تقرأ القرآن في مسجد
تشاي تشا . والعيون حولها مغمضة واللحى مخضلة بالدموع
وشعرت أني تركت أهلي وعشيرتي هناك .

وتنميت لورأيت أحمد سيميلوفتش إلى جوارى لأكلمه

وكنيت مازلت أسمع يقول لي :

- لماذا تريد أن تتركنا وتذهب إلى النسا . . . وماذا عندهم في النسا
مما لا يوجد عندنا ؟ عندهم جبال وعندنا جبال . عندهم غابات
وعندنا غابات . عندهم عيون معدنية وعندنا عيون معدنية . نعم
يا عزيزي أحمد وتلك أوروبا . وهذه أوروبا .

ولكن مع ذلك كنت أشعر أني أمشي في قارة أخرى . الجبال غير
الجبال . والغابات غير الغابات . والناس غير الناس . وبرغم أني
وجدت الصحبة الكريمة مع عشرات من المصريين الذين صادفتهم في
النسا (وفي النسا خمسون ألف مصري يعمل أكثرهم في بيع
الصحف) وكنيت أجد المودة المصرية والنكتة المصرية والكرم المصري
في كل مكان . وبرغم أني وجدت الجمال المهندم . والأشجار المصنفة
المقصوفة . كأنما خرجت من تحت مقص الكوافير منقراط . إلا أني
ظلمت أفتقد شيئاً في الدنيا حولي . وفي الجو وفي الناس وفي الحياة
إن النسا أشبه بفتدق جميل أو قاعة موسيقى . أو ضالة رقص
أو مدينة ملاهي . وكل واحد يعمل ليكسب ويستمتع . والحياة عند
الكل هي الهدف والقيمة . ماذا تأكل وماذا تشرب ؟ ومن تصاحب
وأين تذهب هذا المساء ؟ ! وفي أي حضن تلقى بنفسك آخر الليل ؟ !
هذا هو ما يشغل البال . وبعد ذلك لا شيء .

ولكن عند أصحابنا في سراييفو كانت هناك أشياء أخرى كثيرة
نعم . والبعض هناك ضحى بالقصة الخفية ولم يفكر في السهرة أو
السكر أو الخفض الدافئ . وراح يكدح ليوصل إلى الناس معنى
أو يدفع عنهم باطلا . أو يخلو لهم حقيقة . وأضاع في كدحه زهرة
العمر وسنى الشباب . يفعل هذا دون شعور بحرمان . ودون أن يغبط

الآخرين الذين سبقوه إلى المتعة . وإنما هو يكدر بلذة وطمانينة .
 ويشعر بالإشفاق على كل الذين يستمتعون بغفلة . ويتمنى لو استطاع
 أن يوقظهم . وهو موقن أنه يموت فيلقى ربه فيسأل . وهذا اللقاء
 عنده هو كل شيء . وهل بعد الله شيء أو قبله شيء ؟ ! وهل
 يساوي الله شيء ؟ ! ذلك هو الإيمان البسيط الفطري الذي يغير
 الحياة .

والإسلام ليس أكثر من طريقة حياة . إنه ليس شعائر ولا مناسك
 ولا أزياء ولا حوقلة ولا بسملة . وإنما هو طريقة حياة ورؤية وتذوق
 وسلوك وخلق .

ولهذا كانت سراييفو قارة مستقلة بذاتها في قلب أوروبا . مستقلة
 بأهلها وناسها وعاداتها وسلوكياتها .

سلام على سراييفو .

وسلام على أحمد سمائلوفتش وصحبه في العالمين .

على شاطئ رودس

رودرس في ١٠ أبريل سنة ١٩٨٢

كنت أنقل أصابعي في كسمل بين المحطات على الراديو الترانزستور الصغير في كفي . وأستمع إلى الأغاني اليونانية . كانت الألحان مزيجًا عجيبًا من المواويل المصرية . والقولكلور الصعدي . والتواشيح الأندلسية والفلامنكو الأسباني . وإيقاعات الجرك والرقصات الأمريكية المجنونة . وفي محطات أخرى أنغام السيمفوني والأوبرا ومازيا كالاس .

وكانت الصحيفة اليونانية في يدي تمتلئ بالمانشيتات الحمراء عن مظاهرات الحزب الشيوعي التي تطالب الحزب الحاكم (وهو الحزب الاشتراكي) بالمزيد من التأميمات . . . وصور عن مسيرات الشباب تحمل الأعلام الحمراء . وتمثيل لينين وماركس وإنجلز . . وفي مكان آخر عناوين بارزة للثورة المضادة التي تجري في الخفاء . والتي يقودها

أصحاب المصانع . . عشرات المصانع أعلنت إفلاسها وأغلقت أبوابها
وسرحت آلاف العمال . شركات النقل البحري توقفت عن العمل
بسبب مقاطعة السوق الأوروبية المشتركة للنقلات اليونانية الضخمة
(كأسلوب ضغط على النظام الاشتراكي القائم) . . وفي صفحة
البورصة هبوط حاد لأسعار الدراخمة اليونانية . وارتفاع حاد لأسعار
الدولار . . وأعمدة كثيرة عن البطالة والبيروقراطية وهبوط الإنتاج .
كان كل شيء يتحدث عن حيرة هذا البلد من بلدان العالم
الثالث . وتخبطه بين النظام الرأسمالي والنظام الشيوعي . وما يعانيه من
شد وجذب بين الشرق والغرب وضياعه في فلك القوتين الأعظم .
أمريكا وروسيا . . شأن كل دول العالم الثالث .

ولكن برغم كل شيء . . فقد كانت الحياة تبدو أوروبية غربية في
ظاهرها . والشارع اليوناني يبدو كشوارع لبنان . لا ينتمى لسياسة
ولا لمذهب سوى الربح وبأية وسيلة .

واليوناني العادي يتاجر في كل شيء . حتى في تاريخه وماضيه .
ويصنع من حضارته القديمة بوتيكات ودكاكين وأسواق ومعارض
ومتاحف وسوبر ماركت وبازار .

السياحة هنا هي بئر البترول الوحيدة التي تعيش اليونان من
عائداتها . والسياحة لكي تكون سياحة ناجحة يجب أن تكون بلا لون

وبلا طعم وبلا رائحة . تكلم كل واحد بلغته ، وتلبس لكل واحد لباسه
وتقدم لكل واحد مشربه .

ولذلك تسمع اليوناني العادي يتحدث عن فوز الحزب الاشتراكي
بأنه سقطة ما كان يجب أن تحدث ، ويقول لك : ما لنا نحن وما
روسيا . ولماذا ننحاز لليمن أو لليمنين . نحن نتعامل مع الكل .
وبلده سياحي يرحب بالكل . ثم يضيف قائلا في ثقة : بأن الحزب
الحاكم جاء ليفشل ويرحل . وأنه لن يعمر طويلا . وأن اليونان
لتصبح اشتراكية لا بد أن تحسرها نفسها وشخصيتها ثمنا لهذا التحول ، ثم
لا تتحول بعد ذلك لشيء يذكر .

أما لماذا فاز الحزب الاشتراكي ؟ . . يخصص اليوناني شفثيه
ويقول : جنون التغيير عند الشباب : مجرد التغيير ، مجرد الملل من
الوجوه القديمة . وعيب الشباب أنه عاطفي يصدق الخطب ، ويصدق
الشعارات .

إنهم يكذبون . . كلهم يكذبون . ولكن من كثرة ما كذبوا بدءوا
يصدقون أنفسهم . هذه أمور تحدث في أحسن العائلات .

هيه . . ما رأيك . . تشتري تمثال أفلاطون إنه أوبال فخم .
وماذا تقول في هذا التمثال الآخر . . إنه لديوجين صاحب المصباح
الشهير الذي كان يبحث عن الحقيقة بفانوس في عز النهار

بوتيك . وزودس كلها بوتيك جميل على البحر .
 وكانت البويدية الشقراء على يميني ثقلب هي وصاحبها بضعة
 تماثيل لإله التناسل . واختارت التمثال الكبير صاحب أكبر عضو
 تناسلي . وقال لها اليوناني وهو يتسم : هذا كبير آلهة التناسل وله في
 رودس معبد قديم . . . وكانوا يعبدونه في الماضي ويقدمون له القرابين
 قالت وهي تضحك وتضمه إلى صدرها : صدقني لم يتغير الأمر
 كثيراً فهو مازال يعبد إلى الآن وحياتك . . . وله معابد كثيرة بعدد غرف
 النوم في كل مكان .
 وعادت تضحك مردفة في دلع : هذه هي الصلاة الوحيدة التي
 يحافظ عليها الكل . وفي المساء شاهدها وصاحبها في الفندق وكانا
 يحملان زجاجة شمبانيا .
 وفي الصباح كانا ممددين في الحديقة عاريين تماماً يأخذان حماماً
 شمسياً . أولعها كانت صلوات الصباح . هذا الصنم القديم إله
 التناسل .

ظاهرة الخمسين

جميع المقالات

رجل يبدأ حياته في الثمانين فيقود أمة ويخوض حرباً ويغير الخريطة الجغرافية والتاريخ . ظاهرة حيرت الأفهام واختلفت في تفسيرها الخصم والصديق .

قال الخصوم هو رجل روسيا تحرب به المنطقة . وتستنفذ طاقاتها واقتصادها بالحروب . وإنه المرحلة التي تأتي بعدها الشيوعية . وإنه الوسيلة الذكية التي تستعملها روسيا لتنفذ الشعوب من الدين ورجاله . فيفتح الكل ذراعيه بعد ذلك للمفكر الشيوعي المادي . واستشهدوا على كلامهم بأن ٩٩٪ من السلاح الذي يحارب به الحوميني سلاح روسي يأتيه عن طريق وسائط عربية وسلاح إسرائيلي أيضاً . فكيف يعقل أن تضرب روسيا الإسلام في أفغانستان وتنصره في إيران ؟ وكيف يعقل أن تكون إسرائيل نصيراً لمسلم ؟

وقال الأصدقاء : هذا تشويه للرجل . فلا يمكن أن يكون رجل روسيا . ثم يخوض حرباً ضد الشيوعية في بلاده . ويستدرج الحرب

الشيوعي « مجاهدي خلق » إلى مذبحة دموية يستأصل فيها شأفته
لا يساوم ولا يهادن . . . إنه الإسلام . فالشباب الذي يحمل كفته
ويذهب للحرب يقاتل حتى الموت تحت راية لا إله إلا الله لا يعرف
غيرها راية .

وقال خصوم آخرون : بل هو رجل أمريكا . . . فلولا خذلان
أمريكا للشاة لما استطاع الخميني أن يقف على قدميه . ولو تحركت
أمريكا والثورة الإيرانية في المهد لأجهضتها .

وقالوا : هي لعبة الأمم . فمن مصلحة روسيا وأمريكا وأوروبا
الخلاص من أكبر قوتين عسكريتين في المنطقة . ومن أكبر ترسانتي
سلاح وهما العراق وإيران . وهذا استدرجوا الاثنين إلى مذبحة . وظلوا
يمدون الحرب بالوقود والسلاح . ويشعلون النار كلما خبت زادوها
سعيًا . . . كما استدرجوا الأموال العربية إلى هذه الحفرة . واستنزفوا
الثروة النفطية لجميع الجهات العربية التي تساعد العراق . والتي تساعد
إيران . وما زال كل بلد عربي يدفع . وما زالت الحفرة تبلع والاستنزاف
مستمر ولا يؤذن بنهاية . . . وهي لعبة تستفيد منها أمريكا وروسيا وأوروبا
وإسرائيل والعالم شرقه وغربه . . . بل إن القضاء على هذه القوة
العسكرية العراقية . والقوة العسكرية الإيرانية هو ضمان وأمان وراحة
باللحيران العرب الضعفاء . والأقل تسليحًا على شاطئ الخليج .

فهى إذن مقتلة يستفيد منها الكل القريب والغريب . . . ولهذا يسكت
عليها الكل ويساعد فيها الكل .

لكن الظواهر التاريخية أعقد من أن تصلح لها التفسيرات البسيطة
السادجة . . . والتاريخ مجموعة عوامل شديدة التداخل وشديدة
التعقيد . . . وقد يبدو في الظاهر أن روسيا وأمريكا يستعملان الرجل
لمصلحتها . . . ثم نكشف الحقيقة فإذا بالرجل هو الذي يستعمل الاثنين
ليصل إلى غايته . والفرق شعرة دقيقة بين أن تكون خادعًا
ومخدوعًا . . . وهو فرق لا يستطيع أن يتبينه ذكاء صحن .

وقالوا : إن الرجل هو الفتنة الكبرى التي حاقت بالإسلام . وإنه
هو الإمبراطورية الساسانية الفارسية تعود من جديد في عبادة لا إله إلا
الله . لتقسم الإسلام إلى شيعي وسني يقتل كل منهما الآخر . فلا تقوم
للاسلام بعد ذلك قائمة . والقائلون بهذا لم يكتفوا باتهام العمل بل
اتهموا النية أيضًا .

هل ما جرى في الوطن الإيراني ثورة إسلامية على وجه الحقيقة ؟
أو هي ثورة سياسية تستخدم الإسلام ؟ ! أو هي أطماع طبقة جديدة
تريد أن تحكم ؟ !

هل يقصد قادتها وجه الله ؟ أو يقصدون السلطة ؟ ! لا أحد
يستطيع أن يجيب عن هذه الأسئلة إلا ظنًا وتخمينًا . ولكن المؤكد أن

تحشيد الشعب يتم بشعارات إسلامية واستنفار الألوف للحرب . يحدث
بشعارات إسلامية . . واستجابة القلوب لصرخة الجهاد يحدث بفعل لا
إله إلا الله في هذه القلوب . والقوة التي غيرت مسار الحرب وصمدت
للدمار . وواجهت الموت وقلبت الهزيمة انتصاراً هي فعل لا إله إلا الله
في المقاتلين . وهذه الظاهرة هي التي أفرغت الغرب وأدهشت
المراقبين الأجانب . وأطلقت العقل الأوربي يبحث في هذه الظاهرة
التي أسموها ظاهرة الحميني .

هل يعود الإسلام قوة عسكرية متفوقة كما كان حينما هزم الفرس
والروم ؟ هل تعود الدولة الإسلامية الموحدة لتصبح خطراً على أمن
أوروبا وأمريكا وروسيا ومعها هذه المرة كتوز الطاقة والدولار .
والأعداد البشرية الهائلة ؟

يقول توماس ليغان : إن هذا الفرع ليس له ما يبرره . وإن
الدولة الإسلامية الموحدة ستظل دائماً حلماً مستحيلاً براود المسلمين . .
وإنما انتهت بانتهاء خلافة عمر بن الخطاب . ولم تتكرر ولن تتكرر .
وإن المصالح بالنسبة للدول والحكومات العربية أثبتت على مدار
التاريخ أنها أقوى من حافر الدين . فلن تقبل مصر ذات الألف مسجد
أن يحكمها خليفة في بغداد باسم الإسلام . فعندها إسلامها الذي تعثر
به . ولن تقبل وصاية من أحد . ولن تقبل الحجاز أن يحكمها خليفة

إيراني باسم الدين . وهي نفس أرض الدين وكميته . . وكل شعب
عربي الآن يكاد ينفرد بتقاليده وعاداته وشخصيته . . وما حدث في
الماضي كان أن بسط الإسلام سلطانه على أرض الكفر والشرك . ووجد
دويلاتها تحت رايته . . أما اليوم فالدول العربية هي دول إسلامية
بالفعل . لها مصالحها ولها استقلالها ، ولا يوجد مبرر لأن يأتيها الإسلام
حاكماً من الخارج . . ويقول توماس ليغان : إن ما حدث تاريخياً كان
العكس . فقد حاربت الدول الإسلامية بعضها بعضاً بدافع المصلحة
بأكثر مما حاربت دول الكفر بدافع نشر الدين . وكان انقسام الإسلام
إلى سنة وشيعة وخوارج ومعتزلة ، وإلى غيرها من المذاهب سبب تفرق
بأكثر مما كان سبب تجمع .

والخليفة المرتقب الذي يراه المسلمون في الحلم . والذي تسلم له كل
الحكومات مقاليدها . وتنقاد له كل الشعوب مختارة لا بد أن يكون نبياً
أو رجل معجزات مؤيد بالخوارق التي تعنو لها كل الجباه راغمة . وقد
انتهى زمن النبوات كما انتهى زمن المعجزات . وبالتالي لا يبقى أمل
ولا سبيل إلى تحقيق حلم الدولة الإسلامية الموحدة .

ويقول توماس ليغان : إن البعث الإسلامي في بلد لا يستتبع
بالضرورة عداً لأمريكا . . والسعودية كمثال هي بلد إسلامي صديق
لأمريكا . وكذلك تركيا الإسلامية هي الأخرى خليفة لأمريكا .

وباكستان الإسلامية مثال ثالث . فلا داعي لهذا الفرع الأمريكي لكل
هبة إسلامية .

وإذا سلمنا مع توماس ليمان بالصعوبات التي حالت تاريخيًا -
وسوف تحول مستقبلًا - دون عودة الإمبراطورية الإسلامية خلف راية
ال خليفة الواحد . فإن هناك لونا آخر ممكنا من ألوان الوحدة ، هو
« اتفاق القول » بين مجموع الدول الإسلامية وعزمها الموحد برغم
اختلافها وتعدد مصالحها ، وهو اتفاق حدث في حرب ١٩٧٣ وكان
وراء العبور والانتصار . وهذا الاتفاق والاتحاد قد يأتي في حينه ويؤدي
رسالته ويصل إلى أهدافه بأكثر مما تستطيع دولة موحدة تعمل وراء
 خليفة واحد ، وتأنم لأساليه القهرية ، وهو أمل يكفيننا كحل قريب
 ممكن التحقيق .

ثم من أولى بالفرع ؟ ! هم كدول كبرى نووية ذرية يفرعون منا
نحن الدول المتخلفة الضعيفة الفقيرة . أم نحن منهم . وهل هذا الفرع
 الغربي والشرقي كان دافعهم طول الوقت على هذا التفتيت المستمر
 للقوى الإسلامية ؟ ! وهل تقف أهدافهم عند مجرد إحباط فكرة
 الإمبراطورية الإسلامية والدولة الموحدة أو أنها تمضي لأكثر من
 ذلك . . تمضي إلى الإفقار المستمر لهذه الدول لتعيش تحت مستوى
 الوعي طول الوقت وطول التاريخ ؟ !

إن ظاهرة الخميني التي اختلف فيها الخصم والصديق . والتي
تضاربت فيها الآراء . هي ظاهرة محيرة أقف أمامها عاجزًا عن القطع
 برأي . . فالإذاعات التي تصلنا من طهران هي ألوان من البروباغندا
 ينطبق عليها ما ينطبق على البروباغندا الخيرية من مبالغات . وماتيسه
 الإذاعات الأجنبية وما يتدفق من الوكالات الصحفية الأجنبية . قد
 يكون كلاما ملفقا تمليه الدعايات والأهواء والمؤمرات الدولية .
 والحقيقة ضائعة لن يخلوها إلا الزمن والتاريخ . أن ما يجري في إيران
 علامة استفهام .

والخميني نفسه ذلك الرجل الذي بدأ حياته في الثمانين هو علامة
 استفهام أكبر . ولكن الفرع الغربي امام هذه الظاهرة . وتدفق
 النشرات والكتب والبحوث عن الإسلام ماصبه وحاضره ومستقبله .
 والمراقبون ورجال المخابرات والصحفيون الذين يتقاطرون أرتالا على
 العواصم العربية لتقصي ظاهرة الخميني . وتحسس التيار الإسلامي في
 المنطقة هم المؤشر الذي يستوقف النظر . والذي يكشف عن المدى
 البعيد الذي استهدفت فيه هذه المنطقة للدسائس والمؤامرات بدافع
 الخوف المستمر من الإسلام .

سطر واحد من أقوال الخميني في كتابه الحكومة الإسلامية وقفت
 أمامه طويلا . هو ما قاله عن إمام الشيعة : « إن من ضروريات

مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملك مقرب . ولا نبي مرسل . وهو ما يستوجب طاعة الجميع له . بل إن جميع ذرات الكون بحباله وسماواته تخضع لولايته وسيطرته » [ص ٥٢] .

ومثل هذه الدعوى التي يقول بها الخوئي ترفع الإمام إلى درجة العصمة المطلقة . وتكاد تجعل منه إلها معبودًا تأتمر بأمره جميع ذرات الكون . وتعلو بمقامه فوق مقام الأنبياء المرسلين والملائكة المقربين وهو كلام لا يريح .

فمثل هذه الدعوى يمكن أن تكون فتنة أخطر من كل ما أتى بها شياطين الشرق والغرب من فتن . ويمكن أن تؤدي إلى فساد لا يطاق له فساد . وليس بعد ادعاء الألوهية فساد ولا إفساد . فكيف نراجع مثل هذا الإمام لو ظهر علينا ؟ وكيف نسائله وهو أعلى مقامًا من النبي المرسل والملك المقرب ؟ وهو الذي تخضع له ذرات الكون وتأتمر بأمره ! ولا يخفف من خطر هذه الدعوى أن الخوئي يعود فيقول : « ولكني لست ذلك الإمام . ولم أبلغ هذا المقام المحمود بعد » فذلك تواضع لا يغير شيئًا من فساد المبدأ . فإن أتباعه يرون فيه تلك الإمامة وينادونه بآية الله روح الله .

ولم يدع نبينا محمد عليه الصلاة والسلام لنفسه هذا المقام وإنما قال قوله القرآن :

(قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي) [١١ الكهف] .
(قل لا أملك لنفسي ضرًا ولا نفعًا إلا ما شاء الله) [٤٩ يونس] .
(قل إني لا أملك لكم ضرًا ولا رشدًا) [٢١ الجن] .
(قل ما كنت بدعًا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) [٩ الأحقاف] .

ولم يقل بأن ذرات الكون تخضع لولايته وتدع لسيطرته وهذا هو الفرق بين موقف السنة وموقف الشيعة . فالسنة تقف عند هذه الآيات القرآنية . ولا تريد ولا تعطي للنبي وخلفائه أكثر مما أعطاهم الله ورسوله .

أما الشيعة فتعطي للإمام قدسية وعصمة ورياسة على الأشياء والناس . وتجعله تجسدًا لروح الله . ومثل هذا الفكر يعني سياسيًا في التطبيق دكتاتورية مطلقة بكل أخطارها ومساوئها . هل تكفي هذه السطور من أقوال الخوئي لإدانة الثورة الإيرانية ولإدانة المبدأ الشيعي كسياسة ؟

أمسك عن القول . وأترك التاريخ ليحيب . فالسؤال هذه المرة أكبر من عقلي . وما نعلم من خفايا اللعبة التي تجري الآن على المسرح أقل بكثير مما لا نعلم .

والله فوق كل ذي علم عليم .

المشكلة والحل

الاثنين ٣٠ أغسطس شاطئ العريش :

هبات التسيم القادم من البحر تأتي ومعها السكون والراحة . . هي
الأخرى جاءت بعد مشوار طويل حول نصف الكرة الآخر بين مطبات
الهواء الساخن والبارد وبين كتل المياه الساخنة والباردة من الهادي إلى
الأطلنطي إلى المتوسط فهي مثلنا في قلبنا بين تيارات الفكر بين يسار
ويمين وبين شرق وغرب . . فما أشبه إنسان العصر الحائر ببرادة الحديد
المبعثرة تشدها أمواج المجال المغناطيسي عن يمين وشمال . . ومثلما يتحازر
الإنسان إلى هذا المجال أو ذاك تتحازر الدول وتتصاعد في أحلاف
ويتصاعد معها الموج السياسي وتتصاعد الكتل في نزاعات وحروب .
الموج المادي رأسماليا كان أو شيوعيا (ولا فرق يذكر بينهما)
فكلاهما فكر مادي يقدم وعدا بالرخاء المادي . . وذلك الموج يشد
الأغلبية في شباكته وحيائله .

والموج الديني يشد القلة الباقية إلى المناهج الإلهية والمثل والشرائع الربانية .

وإنسان العصر بين السابح في هذا الموج أو ذاك مهاجرا إلى أيهما في اعتدال أو منكبا على وجهه في تطرف أو ممزقا بين الاثنين في حيرة . أمريكا تغريك بالحرية . . وأنت في أمريكا حر . . تاجر اكسب . . ابتكر اخترع اسرق اقتل . اقتل حتى نفسك بالمخدرات أو اقتل الرئيس الأمريكي « ثم يفرج عنك بعذر الانحراف العقلي » افعل أى شئ . تتصور أن فيه سعادتك ورخاؤك وتلك فلسفة .

وفي روسيا من أجل الرخاء الموعود نفسه يقدمون لك فلسفة أخرى ، يسلبونك فيها هذه الحرية الفردية في مقابل بطاقة أمن من الدولة وبطاقة تموين وبطاقة كساء شعبي ومجانية تعليم ومجانية علاج . . لا يهم بعد ذلك شكل التعليم وشكل العلاج ونوع الخضر الذى تجده في الطابور ونوع البدلة التى تجدها في البطاقة . . والعمال في بولنده الذين لم يجدوا سوى الشعارات ثاروا ومشوا في مسيرات يرفعون صورة البايا وصورة العذراء مريم . . والشباب الأمريكى الذى وجد الحرية ولم يجد القيم مشى هو الآخر في مسيرات يطالب بالعودة إلى الشرائع الإلهية .

وفي العالم الثالث ظهر شباب من كل ألوان الطيف بين أقصى اليسار

وأقصى اليمين اجتمع كل بضعة ألوف منهم حول مرشد أو زعيم أو قائد يلتمسون الحل بثورة أو انقلاب عسكري أو حركات تحت الأرض وفوق الأرض بين مخدوعين أو مأجورين أو مرتزقة أو شباب مثالي متهور .

والانقلابات في الدول الأفريقية وفي دول أمريكا اللاتينية . . وفي العالم العربى . . هى خير مثال . . وهى انقلابات لا تجرى بمعزل عن قطبي المجال المغناطيسى الأمريكى والروسى ، فهى أحيانا تجرى باتفاقهما . . وأحيانا بفعل الغزو الفكرى لكل منهما وأحيانا بتأمر طرف من وراء طرف وأحيانا كالنبت الشيطاني من تلقاء ذاتها . . وفي إيران ترفع الثورة علما إسلاميا . . ولا يعلم إلا الله ماذا يجرى تحته .

ونحن في مصر لا نعيش بعيدا عن هذا كله . . وإنما نعيش في قلب الدوامة نؤثر فيها وتؤثر فينا فمصر ملتقى القارات الثلاث أوروبا وآسيا وأفريقيا وملتقى التيارات المتلاطمة بين شرق وغرب . وفي مصر تراث سبعة آلاف عام من التوحيد يعمل هو ذاته كقطب مؤثر مستقل . ولمصر صراعها الخاص كبلد عربي مع إسرائيل .

وبعد حروب أربعة وبسبب انقسام عربي وخلافات عربية اختارت مصر أن تخطو خطوة سلام .

ولكن ما فعلته إسرائيل في لبنان وما تعلن عنه وما تبشره من عنف قد يجهض هذه الخطوة وقد يجعل المضي في السلام مستحيلا . ولم يسأل العرب أنفسهم وهم في خلافاتهم وانقسامهم . . ماذا يكون عليه المستقبل . . وإسرائيل توشك أن تصبح قوة ذرية وحيدة في المنطقة . . وإيران قوة أخرى مهيمنة فعالة تعيد تشكيل الخريطة . أين نحن من عالم متغير يتشكل بسرعة لا تنتظر خلافاتنا وسلبياتنا . وفي العالم ثورة علمية إلكترونية تتفاقم وتتضاعف بسرعة . . وفي سنوات قليلة سوف تجعل هذه الثورة الأغنياء أغنى والأقوياء أقوى والمتقدمين أكثر تقدما بما لا يقاس بالنسبة لأمثالنا من دول نامية يلقي بها التخلف مئات السنين إلى وراء . . فنصبح كالفرد بالنسبة لمجتمعات إنسانية تلهث تقدما . . هذا إذا لم نسارع فنلحق بأسباب هذه الثورة الإلكترونية العلمية . . ونحن إلى الآن لم نفعل . كل هذه محاذير ونذر لمستقبل وشيك مجهول . والصراع بين الثلاثي العملاق أمريكا وروسيا والصين . . هو علامة استفهام أخرى سوف تشكل الخريطة في السنوات القليلة القادمة . هل نحن مقبلون على عصر ظلماني يصنعه الطواغيت . أم على عصر نوراني يحكمه الراشدون وورثة الأنبياء . إن النذر تتراكم في الأفق .

وباطن الأرض يفور . . والليالي حبلى ، سوف تلدن كل عجيبة . فأين نحن من كل هذا . . وأين انتماؤنا بين المذاهب والنظم والتيارات . . وماذا أعددنا للغد . . وما هو إسهامنا فيما يحرق . إن القليل من زاد العلم الذي نحصل عليه في مدارسنا وجامعاتنا لا يكفي . وهجرة الشباب لغسيل الأطباق وبيع الصحف في أوروبا ليس حلا وانتماء شباب الشارع إلى الزمالك أو الأهل نكتة سخيفة تافهة أن دلت على شيء فعلى الغيبة التي نعيش فيها وسط هذا البركان الفوار من الأحداث . . وانفجارات الشباب الحماسية وجريها خلف أي حامل راية دون أعمال فكر ودون تدبير . . هو مراهقة سياسية . واسترخاؤها على المقاهي وتثاؤها أمام شاشات التلفزيون وانفاقها الساعات في نوادي الكاسيت والفيديو انتحار بطيء من نوع آخر . والكثرة التي تتعاطى حشيش الحب تحاول أن تأخذ أجازة بأسلوب آخر مسلي .

والعالم يتغير . . . والتاريخ يتحرك بالخطوة السريعة ولا ينتظر
المتسكعين على النواصي . . . وإن لم يشترك الشباب في صنع الحياة فهناك
آخرون سوف يرغمونه على الحياة التي يصنعونها .
هل يحاول شبابنا أن يعيش عصره . . . هذا العصر الذي يحتاج منه
إلى احتشاد كامل علما وعملا وفكرا ودينا وخلقا . . . وأن يغذى عقله
بكل ما يجد من حقائق كما يغذى الميكرو كومبيوتر قبل أن يضغط على
زراره ليسأله الخطة والمنهج والطريق .
إن العبء كبير والمسئولية كبيرة ولكن لا مفر من حملها فالتحديات
لا تنتظر والتبعات ثقيلة .
وعدت ببصرى إلى شاطئ العريش وإلى البحر الممتد أمامى إلى
ما لانهاية وإلى مستوطنات إسرائيل التي دمرتها قبل إخلائها . وإلى
يسارى حيث البر العربى يمتد إلى الأطلسى .
هل فكر الشباب العربى كيف جاء هؤلاء اليهود شراذم من كل
الدول . . . جاؤا إلى هنا ليقيموا المستوطنات ويزرعوا الصحراء بالورد
والتمر البندقية فى يد والفأس فى اليد الأخرى .
هؤلاء اليهود الذين زرعوا الفتن وروجوا المخدرات ونشروا بيننا
فلسفات القوضى . . . جاءوا يقاتلون ويعملون ويزرعون ويبنون يعقل
أوروى وبإمكانات أوربية .

هل نواجههم على نفس المستوى علما بعلم ، وحصارة بحصارة .
ودهاء بدهاء . . . وعملا بعمل . . . وقتالا بقتال . . . أم سوف نغضى
نواجههم بالشعارات والخطب والخلافات التي تنتهى لتبدأ ثم تعود
فتنتهى لتبدأ .
وهل أدرك الجانب الفلسطينى أن عليه أن يتوحد فيما بين نفسه قبل
أن يسأل الأمة العربية أن تتوحد . . . وأن تجتمع منظماته على راية واحدة
وممثل واحد ورأى واحد وطرف واحد تعطيه التمثيل والشرعية .
وهل أدرك المنادون بالوحدة العربية بين الدول العربية أن الوحدة
أصبحت أحيانا مفقودة حتى فى الفرد العربى الواحد الذى تمزق على
نفسه . . . وأن الفرد العربى مطالب أولا بأن يجمع أشتات نفسه ويتوحد
مع نفسه وفكره .
والمنادون بالحرب مع إسرائيل من دول الصمود والتضدى ، هل
يعلمون أنه لا توجد دولة عربية واحدة تنتج طعامها أو تنتج سلاحها .
وأن العرب يعيشون على لقمة مستوردة وسلاح مستورد . . . والذى
يعطى القمح والمدفع والطائرة هو الذى صنع إسرائيل وأقامها وأيدها
واعترف بها .
وهل يعلمون أن حوالى النصف من تعداد كل دولة عربية
لا يعمل .

وهل يعلمون أنه لا وسيلة إلى قرار حر إلا باقتصاد حر... وإثنا
لا يمكن أن نحارب عملا وإنتاجا إلا بعمل وإنتاج...
والمنادون بالإسلام كحل... بأى فهم فهموا الإسلام...
إن أكثر من رفعوا راية الإسلام كانوا يخفون تحت هذه الراية ما
لا يمت بصلة إلى الإسلام بأى سبب من أطماع وأحقاد وأهواء وأغراض
شخصية...
والمنادون بالإسلام تفرقوا شيعا وطعن كل واحد في إسلام الآخر
وكفر بعضهم بعضا وشهروا السلاح الذى استوردوه من أمريكا وروسيا
ليحاربوا به بعضهم بعضا...
وبعضهم غرقوا فى الجدل حول الشكليات والمظهريات وتنازعوا
حول اللحية والسواك والشمروخ والنقاب وتقصير الثوب وراحوا
يمضغون القشور ونسوا الجوهر والروح واللباب...
فهل هو كلام جديد أن روح الإسلام ولبه ولبابه هو العلم والعمل
ومكارم الأخلاق أم أنه كلام قديم جدا أيام كان المسلم ينتج لقمته
بزرع يده ويصنع سيفه ويربى خيله ويدربها بنفسه...
إذن لم الخلاف والمسألة واضحة أم أن هناك ناسا من مصلحتهم
التعمية وتشويه الحقائق وإضاعتنا فى مشكلات ثانوية ننسى فيها أنفسنا
وننسى موضوعنا.

وإذا استقر فى وجدان الشباب أن الإسلام هو الحل وأنه هو
الطريق إلى الوحدة وإلى الجهاد السليم... فنحن نقول نعم... بشرط
أن يفهم الشباب ما الإسلام وما حقيقته... وأن لا يجرى وراء كل
نافخ بوق من الفرق الكثيرة الضالة التى تحترف الإسلام كلاما وتشوّهه
عملا وسلوكا.

على كل شاب أن يفتح أذنيه جيدا ويفهم ما يلقى إليه من يمين
وشمال من زخرف الكلام وألا يكون مثل أطواف الخشب التى يلقى بها
الموج ويأخذها التيار كل مأخذ.

إخوتى... لقد جاء الوقت لنفيق... فعبلة الأحداث تجرى
بسرعة... وعمّا قريب ندخل فى منعطف التاريخ ونختبئ فى عنق
الزحاجة إن لم نحسب لكل يوم حسابه.

نعم لا حل إلا حل واحد.

هو العلم والعمل والإنتاج ومكارم الأخلاق التى عودنا عليها
الإسلام والوحدة خلف رايته واحترام العقل ونبذ التعصب والنظر إلى
كل شىء فى شمول وكلية وتدبر وتفكير... وإقامة البنيان الذى انهار من
أساسه بالاتفاق أولا على هذه اللبئات الأولى الأساسية التى بدونها
لا يكون مانبيه إسلاما... وإنما هلوسة دينية تساعد أعداءنا فى القضاء
علينا أسرع وأسرع.

وقد يطول بذلك المشوار وتزداد التكاليف .
ولكن لا يوجد حل آخر .
ونظرت إلى البحر .
وكان الموج هذه المرة يرتفع عالياً ويتكسر في صوت هادر على
الرمل .
وتساءلت في رجفة : ماذا يحدث ؟
تري ماذا يحمل لنا الغيب ؟
وماذا نحمل له ؟

والسبحان الذي لا يعلم ما كنا نعلم !
والله اعلم بالصواب .

الفهرس

الصفحة

| | |
|-----|----------------------------|
| ٣ | أمريكا أمريكا |
| ٤١ | وأفكار من الشاطئ الآخر |
| ٥٧ | هذا الجهاز سوف يغير العالم |
| ٦٩ | المسلمون في يوغوسلافيا |
| ٨٥ | على شاطئ رودس |
| ٩١ | ظاهرة الخوميني |
| ١٠٣ | المشكلة والحل |